

ثورة دارفور:
أزمة السودان الجديدة
25 مارس 2004

مجموعة الأزمات الدولية



تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 76 عن أفريقيا
نيروبي - بروكسل

المحتويات

3	الملخص والتوصيات.....
6	1. تمهيد.....
9	2. السياسات التي تفرق.....
10	أ- تسييس وعسكرة المجموعات الإثنية.....
11	1. صراع الفور – العرب للأعوام 1987-1989 م.....
13	2. صراع 1996-1998 بين المساليت و العرب.....
15	3. دارفور والحركة الاسلامية.....
16	ب- التجمع العربي.....
19	ج- سوء إدارة الحكومة واستغلالها للمبادرات المحلية.....
20	عمليات السلام والتسوية من الداخل.....
20	مؤتمر الفاشر-فيلير 2003.....
21	مبادرة نهار/مسار.....
21	المبادرات الأخرى.....
22	3. الأطراف.....
22	إستراتيجية الحكومة.....
24	الجنجويد.....
28	المتوردون.....
30	روابط الجيش الشعبي لتحرير السودان بدارفور.....
31	عملية أبشي.....
31	العلاقات الدارفورية التشادية.....
31	وقف إطلاق النار.....
34	متابعة المفاوضات.....
35	إنهيار محادثات إنجمينا.....
35	المجتمع الدولي.....
35	الاستجابات المتطورة.....
35	الولايات المتحدة.....
37	الأمم المتحدة.....
39	الإتحاد الأوروبي.....
40	وقت العمل.....
40	حول دارفور.....
42	حول عملية الإيقاد.....
43	الخلاصة.....
	الملاحق
44	خارطة السودان.....
45	اتفاقية وقف إطلاق النار بين حكومة السودان وجيش تحرير السودان.....
47	نص البيان المشترك لحكومة السودان وجيش تحرير السودان.....
48	نص مقترح الوسيط التشادي لإتفاق نهائى.....

ثورة دارفور: أزمة السودان الجديدة

الملخص والتوصيات

السودان حيث بدت الآمال بالسلام واعدة خلال معظم عام 2003، أصبح قصة رعب (كامنة) خلال عام 2004. خلقت البداية السريعة للحرب في إقليمه الغربي دارفور، إحدى أسوأ الأزمات الإنسانية في العالم-قتل الآف وأجبر حوالي 830,000 علي مغادرة بيوتهم. وفي نفس الوقت تتهدد محادثات الإيقاد (الوكالة الدولية للتنمية) في نيفاشا بكينيا بين الحكومة والجيش/الحركة الشعبية لتحرير السودان بالتوقف. إنه لمن العاجل أن تنجح المحادثات وأن تبدأ في ذات الوقت عملية موازية لمعالجة كلا من الأزميتين الإنسانية والسياسية في دارفور.

إن هذه الإتجاهات السلبية ليست بغير ذات صلة. فمتمردو دارفور الذين لا يشاركون في محادثات سلام الإيقاد توصلوا إلي خلاصة مفادها بأن عليهم القتال مخافة أن تتخذ القرارات بشأن إقتسام السلطة والثروة في كامل البلاد من دونهم وحكومة الخرطوم توصلت إلي حكم صحيح مفاده أن المجتمع الدولي لن ينتقدها في مرحلة حرجة من عملية السلام وبالتالي أبطأت من وتيرة عملية نيفاشا لتعطي نفسها الفرصة لتقوم بهجوم كاسح في دارفور.

كانت الإستجابة الدولية ضعيفة بحق وغير فعالة. فأولوية أطراف النزاع الخارجيين الأساسيين- حكومات دول الجوار ومسانديها في واشنطن، و لندن، و أوسلو و روما- تكمن في أن تتوصل الخرطوم الجيش الشعبي لتحرير السودان إلي إتفاق نهائي. واتخذت سياستهم منحي المشاركة البناءة التي تميزت بدبلوماسية هادئة والرغبة في الإبقاء علي التواصل لمن يفهم بأنهم عناصر حكومية متشددة. عرضت الحوافز الدبلوماسية والإقتصادية لكلا الجانبين ولكن الضغط توقف بالرغم من أن هناك دلائل بأن الضغط هو الذي أسهم بصورة أساسية في وصول الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان إلي شفا السلام. بدأت في مارس 2004 فقط دبلوماسية تنجح أكثر نحو إبداء العضلات فيما يتصل بكل من عملية الإيقاد والمحاولات لبناء تفاوض فعال حول دارفور ومورست الدبلوماسية الضاغطة فقط بعد مارس 2004 في إتجاه لتفعيل عملية الإيقاد والمحاولات لبناء تفاوض فعال حول دارفور.

إندلعت الحرب المكشوفة في دارفور في بداية 2003 عندما هاجمت مجموعتي التمرد اللتان يربطهما تحالف هش وهما جيش/حركة تحرير السودان وحركة العدل والمساواة الإنشاءات العسكرية. حمل المتمردون الذين يسعون أيضا إلي إنهاء التهميش الإقتصادي والسياسي الحاد للإقليم السلاح لحماية مجتمعاتهم ضد حملة إمتدت لعشرين عاما تقوم بمساندة الحكومة مليشيات ينحدر أعضاؤها من أصول عربية من دارفور وتشاد. تلقت مليشيات "الجنجويد" هذه خلال العام المنصرم مساندة حكومية متزايدة كثيرا كي تقوم بإجبار المدنيين علي إخلاء المناطق التي تعتبرها الحكومة غير موالية. قادت هجمات المليشيات وحملات الأرض المحروقة الحكومية إلي نزوح كثيف، إلي القتل من دون تمييز، وإلي النهب وإلي إغتصاب علي نطاق واسع وتتعارض كل هذه الممارسات مع المادة العامة الثالثة لمعاهدة جنيف لعام 1949 التي تحظر الهجوم علي المدنيين.

إن الحرب الأهلية التي تهدد بإحداث بضرر لا يمكن إصلاحه في التوازن الإثني الهش لسبعة آلاف شخص يربطهم الإسلام هي في حقيقة الأمر صراعات ذات حركات متطابقة. يدور أحد هذه الصراعات بين القوات الموالية للحكومة وبين المتمردين، وفي صراع ثاني تغير المليشيات الحكومية علي المدنيين ويشمل صراع ثالث مجتمعات دارفور ذاتها. وتتجاوز تعقيدات هذه الصراعات الحدود الدارفورية. فتتهدد بصورة غير مباشرة نظامي الحكم في كل من السودان و تشاد ولها القدرة علي أن تخط مثلا للتمرد في مناطق أخرى من البلاد. فقد تحالف بالفعل مؤتمر البجا من شرق السودان مع جيش تحرير السودان، وقد تظهر مجموعات أخرى- في الشرق أو في الغرب- في إئتلاف ضد الحكومة حتي أن عناصر من الجيش الشعبي لتحرير السودان بجنال النوبة وجنوب النيل الأزرق قد تنضم إليه إذا لم يرضها سير محادثات الإيقاد.

تسعي الخرطوم لتجنب مخاطبة القضايا السياسية التي تغذي الصراع. إن الترتيبات التي تتركز أساسا علي مسارات العون الإنساني لا يمكن أن تدوم وستلحق الضرر بعملية الإيقاد وتطبيقاتها. إن أي عملية موازية لعملية الإيقاد تهدف إلي معالجة الزمة الإنسانية في دارفور من خلال وقف لإطلاق النار مثال تلك المحادثات التي ستبدأ في أبريل 2004 بتشاد يجب أن ترمي أيضا إلي معالجة القضايا السياسية التي تغذي التمرد.

كان الدور التشادي في مفاوضات 2003 معيباً وعكسي المردود. تتطلب المحادثات القادمة تيسيراً من دائرة أوسع من أطراف النزاع الخارجيين مثال الإتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة، والأمم المتحدة. ويجب أن يكون هناك تنسيقاً دولياً أكثر ما هو عليه الآن في دارفور، إضافة إلى دبلوماسية شعبية متزايدة لمساندة عملية المحادثات وبشأن إنتهاكات حقوق الإنسان التي تجري حالياً وإيقاع عقوبات واضحة على أي طرف سوداني يضع العراقيل أمام حل الصراع.

في ذات الوقت يجب ممارسة ضغط مركز متزايد على أي طرف يعاند في محادثات نيفاشا في أي وقت من المحادثات. يجب أن يتجمع رؤساء دول الإيقاد والدول المراقبة خلف المقترح الأمريكي الأخير حول أبيي كأرضية عادلة وسط لحل القضايا الأساسية العالقة ومعاملتها كعامل مساعد في مفاوضات المرحلة الأخيرة حول إتفاق نهائي. وبإمكان المجتمع الدولي من خلال الدبلوماسية الماهرة والرغبة في إستخدام نفوذه في إتمام إتفاق سلام مبكر بين الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان.

التوصيات

الحكومة السودانية

1. الإلتزام بمفاوضات سياسية بتيسير دولي مع متمردي دارفور، هدفها الأول وقف إطلاق النار بمراقبة دولية.
2. الأمر بنهاية فورية للهجمات من قبل القوات الحكومية والمليشيات على المدنيين والأهداف المدنية في دارفور.
3. وقف كل المساعدة للجنجويد والمليشيات الأخرى وبدء عملية تتسم بالشفافية تهدف إلى تجريدهم من السلاح ومحاكمة من يستمرون منهم في مهاجمة المدنيين.
4. أمر قوات الأمن الحكومية بحماية المدنيين ضد المجموعات المسلحة.
5. السماح بالوصول التام للعون الإنساني للسكان المتضررين من أجل إيصال الإغاثة الطارئة وإعادة بناء المساعدة والقبول بمراقبة دولية لإستخدام الإغاثة والمساعدة في إعادة البناء.
6. كفالة اعودة الآمنة للقرويين الذين نزحوا بسبب الصراع إلى موطنهم الأصلية ومساعدتهم على إعادة بناء قراهم.
7. التفاوض لتشكيل لجنة محايدة لإعادة إستقرار المواطنين وتسلم شكاواهم تتألف من ممثلين للحكومة، ومتمردي دارفور وممثلين للمجتمع المدني عرفوا بالإستقامة ويترأسها ممثل للأمم المتحدة ولها صلاحية
أ. تسجيل الشكاوي الجنائية ضد المجموعات والأفراد عن الأذى (الجراح)، الموت والخسائر المادية مثال نهب الماشية، الأشياء المنزلية والبضائع التجارية
ب. خلق آليات لرد الأشياء إلى اصلها، والتعويض والتحري في النهم التي يتقدم بها الضحايا.
ت. التعاون مع التحريات التي يقوم بها طرف ثالث مثال فريق مراقبة حماية المدنيين.
8. السماح لفريق مراقبة حماية المدنيين أن يبدأ مباشرة بالتحري في المزاعم المتعلقة بالهجوم على المدنيين في دارفور.

مليشيات الجنجويد التي تساندها الحكومة

9. وقف كل الهجمات على الأهداف المدنية واحترام القانون الإنساني الدولي.

جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة

10. الإلتزام بمفاوضات سياسية بتيسير دولي مع الحكومة، هدفها الأول وقف إطلاق النار بمراقبة دولية.
11. السماح بالوصول التام للعون الإنساني للسكان المتضررين من أجل إيصال الإغاثة الطارئة والمساعدة في إعادة البناء.

الجيش الشعبي لتحرير السودان

12. القبول بالربط بين النزاعين والمساعدة في المجهودات الرامية لتسوية سلمية في دارفور والتفاوض بحسن نية حول القضايا العالقة في محادثات عملية الإيقاد.

مجلس الأمن الدولي

13. إصدار قرار

- أ. يندد بانتهاكات القانون الإنساني الدولي التي ترتكبها كافة الأطراف في دارفور وبخاصة الإستهداف غير المميز للمدنيين وإعاقة الحكومة للعون الإنساني؛
- ب. يدعو إلى مفاوضات سياسية بتيسير دولي بين الحكومة ومرتدي دارفور، هدفها الأول وقف إطلاق النار بمراقبة دولية؛
- ت. يساند الدبلوماسية الإنسانية الحالية لمساعد الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية، يان إيقلاند، والمبعوث الخاص للشؤون الإنسانية في السودان توم فرالسين؛ و
- ث. يحث على نهاية سريعة لمحادثات سلام الإيقاد ويشير إلى العزم للمساندة الكاملة لإتفاق سلام شامل بين الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان.

المفوض السامي لشؤون اللاجئين

14. كفالة أن بوسع اللاجئين والأشخاص النازحين داخليا العودة إلى قراهم ومدنهم الأصلية وتنسيق تمويل ومساعدة دوليتين لإعادة توطينهم واستقرارهم

الدول العالمية المراقبة

15. إتباع دبلوماسية شعبية قوية تتضمن إملاء ضغوط على أي طرف يعرقل التقدم نحو حلول لمفاوضات الإيقاد ويدين إنتهاكات القانون الإنساني الدولي في دارفور بصورة مسموعة أكثر.
16. تسبق الجهود مع الدول الأخرى المهمة مثل فرنسا وتشاد لخلق إطار لمفاوضات سياسية بتيسير دولي بين الحكومة ومرتدي دارفور وأن توضح بجلاء للحكومة إن أي مكتسبات تتأى عن محادثات الإيقاد ستفقد إذا عارضت مثل هذه المفاوضات التي تعالج الأسباب الأساسية لأزمة دارفور.
17. مساندة عملية واسعة للمصالحة بين الإثنيات والقبائل في دارفور، أولا بالمساعدة في عودة اللاجئين والأشخاص النازحين إلى بيوتهم وقراهم ومن ثم وعلى المدى البعيد تشجيع الإدارة الفاعلة للموارد ومكافحة التصحر.

نيروبي/بروكسل، 25 مارس 2004

ثورة دارفور: أزمة السودان الجديدة

1. تمهيد

ليس بوسع المجتمع الدولي أن يتجاهل أكثر الحرب المتصاعدة في إقليم السودان الغربي، دارفور، والتي تهدد السلام والأمن العالميين لطبيعتها العابرة للحدود بما في ذلك تدفق اللاجئين. وصف أحد موظفي الأمم المتحدة أزمة دارفور بأنها أسوأ أزمة إنسانية في أفريقيا¹. تركزت الجهود الدبلوماسية، بصورة مفهومة، على عملية سلام "الإيقاد" بين الحكومة والجيش/ الحركة الشعبية لتحرير السودان غير أن حجم وحدة الصراع في دارفور يتطلبان أيضاً عملاً مركزاً ومباشراً.

تقدر الأمم المتحدة بأن ذلك الصراع قد قاد في العام المنصرم إلى مقتل آلاف المدنيين، أجبار 700,000 شخص على النزوح داخلياً وفرار 130,000 آخرين إلى تشاد المجاورة وهذه أرقام لم تتفها الحكومة². ترسم إفادات الأشخاص النازحين داخلياً واللاجئين صورة لنمط ثابت من الحملات التي تقوم بها مليشيا الجنويد الموالية للحكومة ويستخدم فيها المحاربون الذين يمتطون صهوات الخيل والجمال تكتيكات الأرض المحروقة تدعمهم ضربات الحكومة الجوية والأرضية.

يحكي الناجون من غارات الجنويد عن قتل للقرويين دون تمييز، وضربهم بالسيارات واغتصابهم وعن إحراق لمئات القرى وتسويتها بالأرض بعد أن نهبت وتدمير للغلة المخزونة وتلك التي كادت أن تحصد. قادت تلك التكتيكات إلى إفراغ مناطق كاملة يقطنها الفور، الزغاوة، المساليت ومجموعات أخرى أصغر عدداً تنتمي إلى الأصول الأفريقية السوداء وهي انتهاك خطير لقانون الحرب التي تحكم الصراعات المسلحة الداخلية وتحديدًا للمادة الثالثة العامة من اتفاقية جنيف لعام 1949³

إن الوضع في دارفور يشكل تهديداً مباشراً لمبادرات سلام الإيقاد والتي تهدف لإنهاء عقدين من الحرب الأهلية بين الجيش الشعبي لتحرير السودان والحكومة وكما خلصت المجموعة الدولية للأزمات فإن مرد المسألة يعود جزئياً إلى أن عملية السلام قد بنيت على محور الشمال/ الجنوب أكثر من الاعتراف بقومية الحرب وبما أن الضيم لا يقتصر على الجنوب فإن المجموعات المهمشة في السودان ستحس بأن عليها حمل السلاح ليتم الاستماع إلى مطالبها⁴. إن دارفور تذكير قوي بأن أزمة السودان ذات صلة أكبر بعدم التوازن البنيوي في الحكم والتنمية الاقتصادية التي تميز علاقات المركز بالأقاليم الطرفية أكثر مما تمت للفصل بين الشمال والجنوب. إن القتال في دارفور ليس هو المؤشر الوحيد على أن الصراعات في السودان لا يمكن تناولها بصورة جازمة في مثل ذلك الإطار

¹ "الأمم المتحدة تدين حرب السودان؛ تقول القتل يذكر برواندا" رويترز؛ 19 مارس 2004

² الأرقام مأخوذة في 26 فبراير 2004 وفقاً لمصادر الأمم المتحدة؛ مقابلة مع مجموعة الأزمات الدولية، 26 فبراير 2004، اعترضت الخرطوم على تقديرات الأمم المتحدة الأكثر حداثة التي أشارت إلى ما يصل إلى مليون نازح. أنظر "الأمم المتحدة تدين حرب السودان؛ تقول القتل يذكر برواندا" رويترز؛ 19 مارس 2004. إنضم السودان إلى اتفاقيات جنيف الأربعة في 23 سبتمبر 1957. يرقى القتال بين قوات الجيش والأمن من جهة وقوات جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة من جهة أخرى إضافة إلى ذلك بين جيش تحرير السودان والجنويد إلى الصراع الداخلي المسلح. غير أن الكثير من العنف يتم خلال هجمات المليشيا على مدنيين أتهموا بمساندة المتمردين. يطلب من أطراف النزاع المسلح الداخلي التمسك بعموم المدة الثالثة من اتفاقيات جنيف لعام 1949 التي تحظر الهجوم على المدنيين بما في ذلك العنف ضد الحياة، الأشخاص، المعاملة القاسية والتعذيب، أخذ رهائن انتهاك الكرامة الشخصية، الحكم وتنفيذ أحكام دون أحكام من قبل محاكم مؤهلة. تقع على حكومة السودان مسؤولية محاكمة الانتهاكات التي ارتكبتها كافة الأطراف بموجب القانون الوطني

4. أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 39، الرب، النفط والبلد: تغيير منطق الحرب في السودان، 10 يناير 2002 وتقاريرها اللاحقة

الجغرافي المحدد فعلى سبيل المثال توصل في منتصف يناير جيش تحرير السودان أكبر المجموعتين المتمردتين في دارفور إلى تحالف مع مؤتمر البجا وهو مجموعة مسلحة تقوم على الإثنية وتعمل في الولايات الشرقية المتخلفة النمو وفي 13 فبراير 2004 انضم إلى مظلة التحالف الوطني الديمقراطي المعارض⁵.

إن مصير عملية سلام الإيقاد سيظل مرتبطاً بتطورات دارفور وحتى وقت قريب كانت للحكومة بالضرورة يداً مطلقة في دارفور ولها القدرة على مساندة الحملات على المدنيين المتهمين بموالة التمرد وهي تحسب بصورة صحيحة أن التركيز العالمي سيظل منصباً على عملية سلام الإيقاد التي لم تكتمل. ولكن المجتمع الدولي تبين ببطء أنه لا يمكن تجاهل أزمة دارفور لمدى أطول.

إن محادثات سلام الإيقاد قد دنت من النجاح عندما وقع الأطراف اتفاقاً إطارياً حول تقاسم الثروة في يناير 2004 واستمر التفاوض لأسبوعين آخرين حول المناطق الثلاث المتنازع عليها وهي أبيي، جبال النوبة وجنوب النيل الأزرق دونما نتيجة برغم التشجيع الخارجي حتى غادرت الشخصية الرئيسية في الجانب الحكومي، نائب الرئيس طه، فجأة ليحج لمكة.

استغلت الحكومة إقطاع الثلاثة أسابيع حتى تواصلت المباحثات في 17 فبراير لتشن هجوماً عسكرياً كبيراً في دارفور وكانت تأمل في إزاحة أي سبب للتفاوض لاحقاً مع متمرد جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة. أنكرت الحكومة بثبات إن القضايا السياسية الجوهرية هي في لب التمرد مدعية أن الصراع ليس أكثر من "حرب قبلية" أو "حرب قطاع طرق" وقد حاولت بصورة دورية ربط التمرد بأجندة الأعداء الداخليين والخارجيين بمن فيهم الحركة الشعبية لتحرير السودان، وإرتريا، وتشاد، وإسرائيل وحزب حسن الترابي المؤتمر الشعبي.

إن الربط المزعم بين حركة العدل والمساواة والمؤتمر الشعبي هو في الواقع أكثر ما يزعج الحكومة إذ أنها تخاف أن يتخذ الترابي دارفور أداة للعودة للسلطة بالخرطوم على حساب شريكه السابق حزب المؤتمر الوطني الحاكم. إن هذا الجزع والمبالغة في تقدير العواقب التي يمكن أن تترتب على ذلك هو ما يقف خلف تردد الحكومة في التفاوض مع متمرد دارفور وبخاصة مع حركة العدل والمساواة⁶.

لصراع دارفور قوة تهدد من إستقرار نظامي الحكم في كل من السودان وتشاد. إن وضع الإقليم بما فيه من تداخل إثني قد ساعد في حسم صراعات القوى في انجمينا. قاد هذا التداخل وعون الحكومة التشادية لجانب القتال الحالي إلى جعل الوساطة التشادية (عملية أيشي) غير فعالة. إن وقف إطلاق النار الموقع بين الخرطوم وجيش تحرير السودان في سبتمبر 2003 لم يعد له أهمية نسبة لمساندة الخرطوم المتصاعدة للجنجويد وفي ديسمبر التالي وصف الرئيس التشادي شروط المتمردين لمفاوضات موضوعية بأنها "غير مقبولة" وقام بقطع عملية التفاوض بصورة أحادية. طوال تلك الفترة لم تلتزم الحكومة مطلقاً بوقف إطلاق النار واستهدفت بصورة متزايدة المدنيين بوساطة الجنجويد وبحملتها المتصاعدة في أواخر ديسمبر.

أعلن الرئيس البشير في 9 فبراير 2004 نهاية العمليات العسكرية في دارفور زاعماً أن الحكومة استعادت كل مناطق التمرد وبسطة سيطرتها على كل الإقليم وقد تضمن تصريحه للمرة الأولى حزمة من المقترحات الرسمية لفض النزاع. وفي محاولة إستباقية لتفادي عملية وساطة أوسع ذكرت الحكومة بأنها تتعهد بفتح مسارات غير معاقة للعودة الإنساني والعودة الآمنة للأشخاص النازحين داخلياً وللاجئين وهو تعهد لم تحترمه الحكومة. دعت الحكومة لمؤتمر داخل السودان ستتم دعوة المواطنين الذين حملوا السلاح إليه حتى يتم التصدي لكل المظالم في الإقليم بصورة شاملة⁵.

5. قرار جيش تحرير السودان بالانضمام إلى التحالف الوطني الديمقراطي علامة أيضاً على خلاف داخلي بين أوساط التمرد. هناك عدم ارتياح داخل جيش تحرير السودان حول الطموحات الحقيقية لقيادات حركة العدل والمساواة. أخبر أحد ناشطي جيش تحرير السودان في مارس 2004 مجموعة الأزمات الدولية بأن "أحد أسباب انضمامنا إلى التحالف الوطني الديمقراطي هي التفريق بيننا وبين حركة العدل والمساواة". لمزيد من المعلومات حول الخلافات الداخلية أنظر أدناه.

6. حوار مجموعة الأزمات الدولية، 2 مارس 2004

وتعهدت الخرطوم بتنفيذ قرارات المؤتمر ومنحت عفواً يسري لمدة شهر للمحاربين المتمردين لتسليم أسلحتهم وأقامت لجنة قومية تركز على الوفاق والتعايش السلمي وإعادة بناء "النسيج الاجتماعي" في دارفور.⁷

قالت الحكومة مباشرة عقب هذا الإعلان أنها لن تحضر الحوار الإنساني مع جيش تحرير السودان، حركة العدالة والمساواة والتحالف السوداني الديمقراطي الفدرالي بزعم أنه لم تتم دعوتها وأن المحادثات التي نظمها مركز الحوار الإنساني ومقره جنيف أصبحت سياسية جداً⁸ كما سعت لإقناع الأطراف العالمية المهمة عبر حملة دبلوماسية مفادها بأن دوراً خارجياً قد يكون مقبولاً إلا أن الأفضل هو تناول قضايا دارفور من خلال عملية سياسية داخلية.⁹

وعدت الحكومة بفتح مسارات للعودة الإنسانية ابتداءً من السادس عشر من فبراير. توضح التقارير الأولية للأمم المتحدة والمنظمات الإنسانية أن تحسناً قليلاً قد طرأ في مناطق معينة غير أن معظم السكان يظلون بمنأى عن الغوث. قدرت الأمم المتحدة بعد ذلك بأنها وصلت إلى ما بين 25% و 30% من الأشخاص المحاجين مقارنة بنسبة تقريبية كانت تصل إلى 15% قبل وعد الحكومة¹⁰ ولكن الجنجويد في تطور لاحق استهدفوا بصورة متصاعدة متلقي العون حتي أن بعض الأشخاص النازحين داخلياً التمسوا من المنظمات الإنسانية ألا توزع العون في ظل الظروف القائمة¹¹.

حفز إعلان البشير بالنصر المتمردين لتنفيذ مزاعم الخرطوم. ذكر أحد ناشطي جيش تحرير السودان "أن الحكومة قد أجبرتنا برفضها لمحادثات جنيف على مواصلة أنشطتنا. إنهم لا يريدون التفاوض لاعتقادهم بأنهم سحقوا التمرد غير أننا لا زلنا بكامل قوتنا"¹².

أعلن المتمردون بأنهم قد هاجموا شبكة الطرق في دارفور في 11 فبراير¹³. وبالرغم من أن التقارير تشير إلى أنهم تكبدوا خسائر فادحة خلال الهجمات الحكومية إلا أنهم أبقوا على قوة كافية لشن هجمات معاكسة وأن القتال ظل دائراً منذ إعلان البشير¹⁴.

استجاب المجتمع الدولي لأزمة دارفور إلى حد كبير بدبلوماسية هادئة تخوفاً من أن الضغوط الزائدة على الخرطوم قد تعرض محادثات سلام الإيقاد للخطر ولكن الحاجة تتضح أكثر يوماً بعد يوم لفض النزاع إذا أريد للسلام الشامل أن يتحقق في السودان. يجب الاعتراف بأن القضايا وراء ذلك الصراع هي قضايا سياسية بطبيعتها وعلى المجتمع الدولي أن يضغط باتجاه قيام مسار سياسي مستقل ومدعوم عالمياً بدارفور. هناك مؤشرات لعملية تركز على إيصال المعونات لضحايا الحرب ستبدأ قريباً في انجمنينا تحت مراقبة الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي (بقيادة المملكة المتحدة وفرنسا). من دون الالتزام بمحادثات سياسية فإن وقف إطلاق النار واتفاقيات وصول العون الإنساني ستعرض جميعها للمخاطر كما ستعرض لها مجهودات الإيقاد الجارية. إن الاعتماد على تشاد لقيادة مثل هذه العملية دون المشاركة النشطة لكل من الاتحاد الأوروبي، الولايات المتحدة والأمم المتحدة سيؤدي حتماً للفشل إذا أخذنا سجل مجهودات تشاد السابقة وتورطها بتقديم الدعم الرسمي وغير الرسمي لجانب الصراع.

⁷ تصريح لسيادة رئيس جمهورية السودان عمر حسن أحمد البشير، خدمات الأخبار السودانية، السفارة السودانية، نيروبي، 9 فبراير 2004

⁸ السودان: الحكومة لن تحضر مؤتمر محادثات الوصول الإنساني في دارفور " نقلا عن إيرين، 9 فبراير 2004. لم يبدو انعقاد هذه المحادثات التي استغرق التحضير لها شهراً مؤكداً الا قبل أيام من انعقادها

⁹ حوار مجموعة الأزمات الدولية، 2 بروكسل، 11 فبراير 2004، أعادت الحكومة أيضاً التأكيد على التزامها بعملية أبشي. أنظر "التصريحات الصحفية"، المكتب الصحفي، السفارة السودانية، نيروبي، 11 فبراير 2004.

¹⁰ حوار مجموعة الأزمات الدولية مع مسؤول في الأمم المتحدة، نيروبي، 25 فبراير 2004

¹¹ مراسلات مجموعة الأزمات الدولية، 29 فبراير 2004 و 2 مارس 2004. أنظر أيضاً "أزمة دارفور، السودان ملخص الأمم المتحدة

الإنساني الأسبوعي، 22-29 فبراير 2004، متوفر علي موقع www.unsudanig.org

¹² حوار مجموعة الأزمات الدولية، 10 فبراير 2004

¹³ حوار مجموعة الأزمات الدولية، 11 فبراير 2004 أنظر أيضاً "جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة يفرضان حظر تجول كامل علي إقليم دارفور،

تصريح صحفي لحركة العدل والمساواة، 12 فبراير نشر علي:

¹⁴ مراسلات ومقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير ومارس 2004

يتوجب مشاركة الأطراف الدولية لضمان أن تنبثق عملية محايدة للتسوية بين القبائل. ويتطلب هذا مبدئياً التأكيد على أن بوسع اللاجئين والأشخاص النازحين داخلياً العودة إلى مدنها وقراهم الأصلية ويجب أن يطلب من الحكومة إجبار الجنجويد على الانسحاب من المناطق التي استولوا عليها بعد أن أجبروا أهلها على النزوح. حالما يستجاب لهذه الشروط ينبغي على المانحين والحكومة مساندة البرامج التنموية التي توقف تدهور الحالة البيئية وتوفير موارد مياه كافية للزراعة ولاستهلاك الإنسان والحيوان.

تعقيداً للصورة، فإن القتال بين الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان قد استمر في أنحاء عديدة منذ نهاية يناير 2004 برغم اتفاقية وقف العدائيات. ففي حقول النفط في غربي أعالي النيل كان انضمام اثنين من قادة قوات دفاع جنوب السودان الموالية للحكومة تيتو بيل وجيمس ليه ديو إلى الجيش الشعبي لتحرير السودان بمثابة إشعال فتيل حرب يهدد أي عملية للسلام¹⁵. إن إصرار جون قرنق رئيس الجيش الشعبي لتحرير السودان على التفاوض مع قادة قوات دفاع جنوب السودان كل على حده يعني أن بوسع الحكومة ترقية قواد جدد من بين صفوف نفس الحركة بينما تغذى الخلافات الداخلية بالمال والسلاح¹⁶. تأجج القتال بشكل مماثل بين الميليشيات الموالية للحكومة وبين الجيش الشعبي لتحرير السودان في مملكة الشلك إلى الجنوب الشرقي حيث اندمج فصيل الدكتور لام اكول والذي كان يوالي الحكومة مرة أخرى في الجيش الشعبي لتحرير السودان في نوفمبر 2003¹⁷. بذلت الخرطوم جهداً كبيراً لإعادة تأكيد سيطرتها على حلفائها الجنوبيين بما في ذلك ترقية 58 من قيادات الميليشيات إلى رتب عليا في الجيش الوطني (6 إلى رتبة اللواء) في عام 2004 وفرض القيود على سفر أولئك الذين يشتبه في أنهم يتحدثون مع الجيش الشعبي لتحرير السودان¹⁸.

2. السياسات التي تفرق

لم يكن مولد جيش تحرير السودان في فبراير 2003 بداية للحرب في دارفور وإنما مجرد فصلها الأخير والأكثر وضوحاً بالرغم من التاريخ الطويل للتعايش السلمي النسبي بين الإثنيات المختلفة إلا أن تدخل المركز في منتصف الثمانينات واستخدامه لسياسات ترمي إلى استغلال البعد الإثني لخدمة مصالح سياسيي المركز وحلفائهم الإقليميين جعل من التنوع الذي تتسم به دارفور مصدراً للنزاعات والمشاكل. إن الحرب الإثنية الراهنة هي نتيج لعقديين من السياسات الخاطئة من قبل حكومات المركز المتعاقبة.

أ. تسييس وعسكرة المجموعات الإثنية

يمثل التنافس حول الأرض الخصبة والمياه السبب الرئيسي وراء الصراع الذي تقاوم بسبب التصحر في شمال السودان والجفاف الذي طال دارفور في فترات مختلفة منذ السبعينات والذي دفع المجموعات الرعوية من كل الأصول للتوجه من الحزام الشمالي شبه الصحراوي إلى الجنوب بحثاً عن الكأ والمياه. تسبب الوجود المنتظم للرعاة في حزام وسط دارفور الغني زراعياً في الاحتكاك مع المزارعين. اتحد التدهور البيئي وانعدام التنمية في إفقار أهالي دارفور بكل خلفياتهم الإثنية.

دارفور موطن لخليط معقد تظل القبيلة فيه عنصراً أساسياً من عناصر الهوية. هناك على الأقل 36 قبيلة أساسية ولكن بعض المصادر تشير إلى ما قد يصل إلى 90 بما في ذلك الفروع أو البطون¹⁹. الخليط يتكون من كتلتين رئيسيتين هما العرب وغير العرب وتعرف الأخيرة محلياً بالزرقة أو السود. إن قروناً من التعايش والمصاهرة قد خففت من تمايزات الهوية مختصرة إياها علي الشعور بالانتماء الثقافي للعالم العربي أو عدمه، أما من حيث العنصر فإن أفراد

¹⁵ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير 2004، قوات دفاع جنوب السودان هي المظلة التي تضم المجموعات المسلحة من جنوب السودان الموالية للحكومة

¹⁶ أسمت الخرطوم فيما يبدو دور ليقود قوات ديو وبيل من فصيل حركة استقلال جنوب السودان (أحد فصائل قوات دفاع جنوب السودان)

¹⁷ للمزيد حول القتال في مملكة الشلك، أنظر التصريح الصحفي لمنظمة فساد للإغاثة وإعادة التعمير، 18 مارس 2004 و "السودان: القتال يتصاعد في مملكة الشلك"، إيرين، 19 مارس 2004

¹⁸ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير 2004، تتضمن استراتيجية الحكومة أيضاً العون المستمر لجيش مقاومة الرب اليوغندي. سيتم التعرض لهذه القضايا في تقارير مجموعة الأزمات الدولية حول شمال يوغندا والسودان

¹⁹ سيف النصر إدريس (تاريخ دارفور) (في دارفور: التاريخ الإثني، النزاع المسلح وانتهاكات حقوق الإنسان) عدد خاص من رابعة حقوق الإنسان السودانية، القاهرة، يوليو 1999، ص 11-10

²⁰ أدخلت الحكومة علي سبيل المثال مفهوم "الأمير" الذي ليس له جذور في نظام الحكم الدارفوي الممتد لقرون

المجموعتين العربية وغير العربية يلتقيان في سواد البشارة. وباستثناء الزغاوة الذين تخصصوا في رعي الجمال تعتمد المجموعات الأفريقية المحلية السوداء على زراعة الكفاف وتربية الحيوانات بينما تعيش المجموعات العربية الأصل علي رعي الجمال في شمال دارفور ورعي الأبقار في جنوبها.

إن مفهوم دار أي موطن القبيلة هو أحد مفاتيح فهم العنف الإثني المتزايد. كان لكل من المجموعات المحلية والمهاجرين العرب الأوائل الذين استقروا بتلك المناطق تاريخياً (داراً) خاصة بكل منهم. وافقت القبائل الأساسية طوعاً على استقرار المجموعات الأخرى في ديارها ومنحتهم منزلة إدارية معترف بها. كان لعبث حكومة الخرطوم بهذا التقليد أثر تراكمي جسيم في تفتيت التعايش المشترك²⁰.

وقعت خلال العقود الثلاثة الماضية نزاعات تقليدية حول الموارد والأنعام بين المجموعات العربية وغير العربية الأساسية أو داخل المجموعة الواحدة. يعطي يوسف تكتة العالم الدارفوري قائمة بثلاثة نزاعات تقليدية قامت حول الموارد في الفترة من 1968 إلى 1976، وخمسة نزاعات في الفترة من 1976 إلى 1980 وواحد وعشرين نزاعاً في الفترة ما بين 1980 إلى 1998²¹. أرجع التزايد المضطرد في العنف إلى غياب المجهودات التنموية في الإقليم وإلى قصور الإدارة الحكومية الذي يشمل إضعافها المتعمد لأنظمة الإدارة الأهلية التي ساعدت لأجيال، قبائل دارفور في ترتيب شئونها وبالرغم من ذلك فقد سلط تكتة الضوء على مرات عديدة لم تقم فيها قبائل وثيقة الرباط بنصرة مجموعات تمت لها إثنية في نزاعات محلية ويرجع هذا الانضباط إلى سيادة قيم التعايش المشترك السائدة في دارفور حتى أواخر الثمانينات.

علي خلفية التدهور البيئي تمخض ضعف الحكومة ومناوراتها المرتكزة على النسيج الاجتماعي تدريجياً عن تحول ينذر بالخطر لطبيعة الصراع فأضحت الإثنية عنصراً أساسياً في التعبئة للصراعات. إن الفوارق بين نوعي الصراع مهمة فالصراعات التقليدية هي في العموم متقطعة وذات مستويات عنف متدني والصراعات التي تقوم من منطلقات إثنية كالتى ظهرت في أواخر الثمانينات تواصلت وأصبحت شرسة بصورة استثنائية وساعد التكتاف الإثني في جر أطراف إضافية إلى الصراع²². بدأ المقاتلون لأول مرة في صراع أعوام 1987 – 1989 بين الفور والعرب يعرفون أنفسهم بصورة أكثر اتساعاً "كعرب" و "كغير عرب".

تتولد عناصر سياسات الخرطوم في دارفور من حربها الأهلية مع الجيش الشعبي لتحرير السودان. قوى تسليح الميليشيات الجنوبية لمحاربة الجيش الشعبي لتحرير السودان كثيراً من موقف الحكومة العسكري في الجنوب وكان ضرورياً لتأمين حقول النفط في غربي أعالي النيل. نجحت الحكومة بفعالية من خلال دعمها المادي والعسكري واستغلالها للفوارق الإقليمية والقبلية والسياسية في تحويل مجموعات عديدة من السودانيين الجنوبيين ضد الجيش الشعبي لتحرير السودان. إن أثر نتاج أعوام الاقتتال الجنوبي الجنوبي لا تزال ملموسة وكما أشير إليه أنها تشكل تهديداً لتنفيذ أي اتفاقية لعملية الإيقاد²³.

وبالمثل فإن الصراعات الإثنية المتنامية في دارفور تتمخض عن تسليح حكومات الخرطوم المتعاقبة منذ الثمانينات لقبائلها التي تنحدر عن أصول عربية كي تقوض استقرار القاعدة السكانية للجيش الشعبي لتحرير السودان المتمرد ولاحتواء التهديد بتمده إلى وسط وشمال السودان. يعتمد الجيش في الشمال كما هو الحال في الجنوب على الميليشيات القبلية (القوات الصديقة) في حربه مع الجيش الشعبي لتحرير السودان²⁴. لقد تم تسليح قبيلة الرزيقات في جنوب دارفور بوساطة حكومة الصادق المهدي المنتخبة في منتصف الثمانينات. في إقليم أصبح فيه الصراع حول الأرض وحقوق الرعي تقليداً، استغلت قبائل أخرى توافر الأسلحة الصغيرة بكثرة في تشاد المجاورة.

²¹ يوسف تكتة، " أثر الحرب القبلية في دارفور " بالعربية؛ آدم الزين محمد والطيب إبراهيم وداي "أفاق أبعد الحرب القبلية في السودان"، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1998، صفحات 195-225

²² أنظر تحليل محمد سليمان، "السودان: حروب المارد والهوية"، البندر؛ طبعة صلاح، "حروب السودان الأهلية: أبعاد جديدة" كامبردج، 2000

²³ أنظر موجز مجموعة الأزمات الدولية عن أفريقيا، حقول نفط السودان تشتعل من جديد: التهديد المقتتل بالحرب يهدد عملية السلام، 10 فبراير 2003، وتقريرها عن أفريقيا رقم 73، السودان: نحو سلام غير مكتمل، 11 ديسمبر 2003

²⁴ لمزيد من المعلومات أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية "الرب، النفط والقطر وتقاريرها اللاحقة

رأى قادة المجموعات العربية وغير العربية في دارفور على حد سواء في استراتيجيه الحرب بالوكالة التي تنتهجها حكومة الخرطوم قوة كامنة في إحراز مآرب سياسية، اجتماعية و اقتصادية شخصية وقد تأثروا في هذا بعمق بمثال الجارة تشاد. وكان المبعدون التشاديون المتعاقبون قد استخدموا دارفور كملاذ آمن لتجنيد وتدريب ميليشيات قبلية استخدموها لاحقاً في الاستيلاء علي السلطة في وطنهم بمن في ذلك الرئيس السابق حسين هبري والذي أطلق في 1982 م حملته للاستيلاء علي السلطة من دارفور والرجل الذي حل محله في 1990م بعد حملة مماثلة للرئيس الحالي إدريس دبي

1- صراع الفور – العرب للأعوام 1987-1989م

يعد نزاع 1987-1989 م حول الوصول إلى أراضي المرعى و مصادر المياه بين الرعاة ذوى الأصول العربية و الفور الذين يمتنون الزراعة من أوائل الصراعات التي قامت على الإثنية.

بدأ الصراع على مستوى محدود جدا بين بعض رعاة الإبل من القبائل العربية في شمال دارفور و بين بعض قطاعات الفور في الطرف الشمالي من جبل مره و لكن سرعان ما تدهور الوضع نتيجة لتدخل العناصر المسيسه (من كلا المجموعتين) من مدن دارفور و متقفي دارفور في الخرطوم. ضاعفت الدعاية و بخاصة ما بثه إعلام الخرطوم و أذكت من نيران القتال حتى اجتذب كل قطاعات الفور إلى جانب واحد و كل القبائل العربية إلى الجانب الآخر.²⁵

كشف الصراع عن تحالف لنحو سبعة و عشرين قبيلة عربية تعمل لأول مرة بأسلوب سياسي وعسكري منسق تحت اسم لم يستخدم من قبل هو التجمع العربي. تحدث علانية منا يربو علي عشرين من قادة التجمع المذكور في 1987م نيابة عن مجموعاتهم في خطاب مثير للجدل لرئيس الوزراء الصادق المهدي (انظر تحته).

أشارت التقارير آنذاك إلى وجود مليشيات رعاة باسم " الجنجويد " التي عرفت ليس فقط بمهاجمة الفور ولكن أيضا بمهاجمة القبائل غير العربية الأصغر في دائرة النفوذ الاستراتيجي و الاقتصادي المهم للفور. كون الفور مليشياتهم القبيلة الخاصة مستخدمين الجنود المتقاعدين لتدريب مئات المجندين بغرض تشكيلهم كوحدات دفاع عن القرى، وقد اكتسبت هذه الوحدات لاحقا قدرات هجومية²⁶. إختارت بعض مجموعات مليشيات الفور لاحقا تكوين تحالف سيؤاسى و عسكري مع الجيش الشعبي لتحرير السودان²⁷.

وفقا لأحد المصادر فقد الفور 2500 شخصا و 40000 رأسا من الماشية وأحرقت 400 من قراهم مما تسبب في نزوح عشرات الآلاف إلى معسكرات النازحين²⁸. أقعد الغزاة الرعاة من قطاع زراعة الفاكهة و الخضروات المزدهرة بتدميرهم لأشجار الفاكهة و حرقهم لطلمبات الري و الجراران. أبلغت المجموعات العربية عن خسارة 500 شخص و حرق مئات المعسكرات²⁹.

قدم الطرفان في مؤتمر سلام قبلي بدأ في 29 مايو 1989م إبان حكومة المهدي المنتخبة وأختتم في السابع من يوليو بعد أسبوع من انقلاب الجبهة الإسلامية القومية مزاعم أثنية متطرفة. اتهم العرب الفور بأنهم يعتززون توسيع "الحزام الافريقي" حول جبل مره بطرد كل العرب وحرمانهم من الوصول للمياه و المرعى. إن أصل هذا الزعم هو امتعاض الرعاة من محاولات

²⁵ تكتة، صفحة 219

²⁶ أنظر دراسة تكتة حول (الأوماج):تنظيمات القبائل غير العربية ومقابلها مؤسسات (العقد عند القبائل ذات الأصول العربية) صفحات 214-217

²⁷ نفس المصدر

²⁸ لتفاصيل أوفي أنظر شريف حريز، "الحزام العربي" في مواجهة "الحزام الأفريقي": الحرب الإثنية والسياسية في دارفور وعناصرها الثقافية والإقليمية" في السودان: طريق مختصر للتأكل، نورد يسكا افريكان انستيتيت، اوبسالا، السويد. الاقتباس مأخوذ عن ترجمة عربية نشرها مركز الدراسات السودانية، القاهرة، 1997، صفحة 262

والهوامش 3 و2

²⁹ نفس المصدر

المزارعين المستقرين لتسييج الأراضي غير المزروعة إذ لجأ المزارعون لإقامة سياجات خاوية "زرايب الهوا" لحماية حصادهم من القطعان التي تعتدي عليه في وقت أبكر مما اتفق عليه بمقتضى اتفاقيات التسوية القبلية السابقة. فشل المتطرفون العرب في تقديم أي دليل على خطة الفور فيما يتصل بـ "الحزام الأفريقي" و عملوا تحت تأثير ما اعتبروه تعيينا غير متناسب للفور و الأشخاص الآخرين ذوى الأصول "الأفريقية" في المناصب العليا في حكومة دارفور أولا بواسطة إدارة الرئيس السابق نميرى ثم لاحقا في حكومة المهدي³⁰.

زعم ممثلو الفور أن الحرب ضدهم هي إبادة تغذيها العنصرية و تهدف إلى تدمير قاعدتهم الاقتصادية وإلى طردهم من أراضيهم لتحتلها مجموعات من العرب الذين جند بعضهم من أجزاء أخرى من السودان و من دول الجوار في أراضي الفور.³¹ بينما كانت الغزوات حتى في مرحلة الصراع المبكرة تلك تهدف إلى تدمير الأصول الاقتصادية والاجتماعية للفور وأحرق الغزاة مئات القرى بعد إخلائها من سكانها إلا أنه ليس هناك من دليل على استيطان لاحق للمجموعات العربية بها.

بالرغم من ذلك فإن الهجوم غير المميز على المدنيين والتدمير الواسع للمدارس و العيادات و آبار المياه و طلبات الري بواسطة الجنجويد والحكومة في الصراع الحالي تبدو كمؤشر واضح على نية لإجبار السكان الأصليين علي النزوح بصورة دائمة. إذا أرادت الحكومة أن تدفع عن نفسها تهمة التطهير العرقي فيتوجب عليها فوراً و بالبرهان القاطع أن توقف هجماتها و هجمات وكلائها على الفور و المجتمعات الأخرى من الخلفيات الأفريقية و التحرك بالاحكام مماثل لعكس الإجتثاث الفعلي لتلك المجتمعات ومعاقبة المسؤولين عن الانتهاكات المستمرة لحقوق الإنسان.

تلقت مبادرة رعتها الحكومة للوقوف على مفهوم المجموعات القبلية الفردية حول الأسباب الجذرية للصراع وما توصي به القبائل بشأن التعايش المشترك استجابة قاسية من "مجلس أعيان الفور في السودان" والذي لإثبات ذلك خاطب الحكومة في مذكره بتاريخ 17 أكتوبر 2003 بأن مجتمعهم هو ضحيه لتطهير عرقي معطيا تفاصيل إحصائية³².

بصورة عامة فإن ناشطي عرب دارفور و حكومة الخرطوم قد بنوا مفهوما مفاده أن الزغاوة قوم يتميزون تحديدا بشهية اقتصادية وبطموح سياسي غير محدود. اتهم الزغاوة أيضا بأنهم يضمرون طموحا مماثلا في تشاد حيث كما في السودان يمثلون نسبة 1% من السكان. يزعم بأنهم يتبعون سياساتهم لإحياء دولة الزغاوة الكبرى الأسطورية التي ستخطى الحدود³³. كانت هناك نزاعات مسلحة بين الزغاوة ومجموعات ذات خلفية عربية في الأعوام 1994 و 1997م وبين الفور الذين يعتبرون أفارقة مثلهم في منتصف التسعينيات.والآن يهيمن محاربو الفور، الزغاوة و المسالييت على المجموعتين المتمردتين اللتين تعارضان الحكومة إضافة إلى وجود قطاع عريض من مجموعات دارفور و بعض ذوى الأصول العربية في صفوفها.

2- صراع 1996-1998 بين المسالييت و العرب

برغم أن الحكومة قد صدت هجوما للجيش الشعبي لتحرير السودان في 1992-1993م كان قد خطط له أحد ناشطي الفور (أنظر أدناه) إلا أنها بتسليحها للقبائل العربية في الإقليم غرست بذورا للصراع اللاحق. في تسرعها لمكافأة حلفائها أولئك أعادت الحكومة ترسيم الحدود في 1994م مقسمة إقليم دارفور إلى ولايات شمال، جنوب و غرب

³⁰ آدم الزين محمد والطبيب إبراهيم وداي "أفاق الحرب القبلية في السودان"، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية، جامعة الخرطوم، 1998

³¹ نفس المصدر

³² أنظر "مجلس أعيان الفور في السودان: فهم الأعيان للاعتداءات، الظروف الأمنية والموقف الإنساني في دارفور"، مذكرة بتاريخ 17 ديسمبر 2003 وجدالت بأن "المشاكل الأمنية التي ابتليت بها دارفور الكبرى خلال العقدين الأخيرين تركزت في الأساس في المناطق التي يغلب فيها الفور مثال محليات كتم، كيكابية، جبل مره، نيالا، كاس، زالنجي وادي صالح ومكجار. أثرت قبائل مستقرة أخرى مثال شعوب المسالييت، الداجو، الميذوب، البرقو، الزغاوة، البرتي، البرجيد والبرنو. ستبين الإحصاءات البيانية أن تأثر المناطق الأخرى وبخاصة دارات العشائر العربية لم تشهد أحداثا علي مستوي المناطق السابقة برغم ملاعمتها لكل من الرعي والزراعة. يكون من الصعب بالتالي أن يرجع الاعتداء علي سكان المناطق التي استمر فيها القتال إلي صراع حول الموارد

³³ أنظر الهامش 32 المفصل في دراسة محمد سليمان، "السودان: حروب الموارد والهوية"، صفحة 379

دارفور³⁴ أن نتج عن ذلك تقسيم الفور و سهول جبل مره الخصبة الواقعة في وسط الإقليم بين الولايات الوليدة الثلاثة³⁵

قامت الوحدات الإدارية الجديدة إلى حد كبير على حساب المجموعات الإفرقية السوداء الذي غربهم أكثر عن الحكومة وأثار النزاع. يعتبر بصورة عامة قرار محمد الفضل حاكم ولاية غرب دارفور حينها في 13 مارس 1995م بتقسيم موطن المساليت التقليدي إلى ثلاثة عشر إمارة خصصت منها خمسة للمجموعات العربية الأساس في إشعال فتيل صراع الأعوام 1996-1998³⁶م. قتل المئات من كلا الجانبين و فقد آلاف القرويون و الرعاة العرب ماشيتهم ومقتنياتهم الشحيحة. وكأنما تتحدث عما سيكون عليه القتال الجاري حاليا قامت الميليشيات العربية التي تساندها الحكومة بكثير من التقتيل وهم يغزون ويحرقون قرى المساليت مرسلين ما لا يقل عن 100 ألف لاجئ يتدفقون نحو تشاد. لاقى الصراع اهتماما دوليا قليلا³⁷.

خاطرت سياسات الخرطوم أكثر من دفعها سكان دارفور للتخندق خلف فوارق العرب وغير العرب بخلق توترات أكبر بينهم على اختلاف أصولهم. علق عبد الرسول النور أحد قادة حزب الأمة المعارض البارزين "خصص التقسيم الإداري الفرعي لولاية جنوب دارفور محافظة لكل قبيلة فعلى سبيل المثال نجد من الشرق إلى الغرب محافظة عديلة لقبيلة المعاليا و محافظة من المعاليا، محافظة للرزيقات في الضعين و محافظ منهم، محافظة في برام للهبانية وواحدة للتعايش في رهيد البردي وواحدة في تلس للفلاتة وأخرى في عد الفرسان لبنى هلبة، وكانت كل هذه المنطقة تشكل مجلسا ريفيا واحدا يدار من نيالا مما أدى إلي ترسيخ مفهوم وسط عديدين بأن المحافظة هي مملكة ملكها هو المحافظ...."³⁸

حذر النور من أن التطابق الذي خلق بين القبائل والوحدات الإدارية المحلية يهدد بإذكاء خلافات أكثر حول الحدود والوصول إلى الموارد.

بدأ الفيض الداخلي لحرب دارفور يؤثر في كردفان حيث حدث عصيان محدود في حاميات حكومية بجبال النوبة³⁹. ومن دلالات ذلك أيضاً رسالة سياسية قوية أرسلها أربعة من قادة كردفان البارزين للرئيس عمر البشير في 9 فبراير 2004 مطالبين بأن تنال كردفان حصتها العادلة من الثروة القومية بما في ذلك النفط الذي تعتبر الولاية أحد منتجيها الأساسيين كما طالب الموقعين أيضاً بتمثيل دينكا ومسيرية كردفان في المفاوضات حول اببي وإعطاء كردفان الحق في انتخاب حكومتها⁴⁰ وأنذروا بأن الضيم المتأني عن انعدام التنمية الاجتماعية والنشاط الاقتصادي "يهدد بالإفجار"⁴¹

3. دارفور والحركة الإسلامية

تمتد جذور أزمة دارفور أيضاً إلى الخلافات التي ابتليت بها الحركة الإسلامية السودانية منذ أن استولت على السلطة في 1989. بالرغم من مجهودات الجبهة الإسلامية القومية المكثفة لخطب ود الناخبين هناك إلا أنها أفلحت في الفوز بثلاث مقاعد فقط في انتخابات 1986 البرلمانية. ترك صفوفها لاحقا اثنين من نوابها الفائزين منضمين إلى أحزاب

³⁴ حدث هذا كجزء من إعادة ترسيم عريض لخارطة السودان قسمت بموجبه الولايات التسعة عند ذاك إلى 27 ولاية أصغر

³⁵ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، ديسمبر 2003

³⁶ نازك الطيب رباح أحمد، "المسببات التقليدية والمعاصرة للنزاعات القبلية في السودان" منشور بالعربية في آدم الزين محمد والطيب ابراهيم وداي "أبعاد الصراعات القبلية في السودان"، الصفحات 139-159

³⁷ لصورة مفصلة عن الهجمات غير المميزة على المدنيين أنظر مجتمع المساليت في المنفي، "رسالة مفتوحة للمجتمع الدولي: المنبحة المستترة والتطهير العرقي في غرب السودان"، 8 أبريل 1999، على الموقع http://www.massaliet.info/reports/international_community.rtf

³⁸ "قبل عودة المتمردين للمفاوضات: من وراء القتال في دارفور؟" حوار بالعربية، الصحافة، 24 يناير 2004

³⁹ تقدر مصادر مستقلة رقم الجنود الفارين من الخدمة مؤخراً بحوالي العشرة، أقل بكثير عن رقم الثلاثة آلاف الذي زعمت قيادة حركة العدل والمساواة بأنهم انضموا للتمرد من بين صفوف القوات الحكومية التي تركز بكادقلي، مقابلات المجموعة، فبراير 2004، أنظر أيضاً "متمرد في غرب دارفور يتحركون صوب الخرطوم"،

رويتز، 25 فبراير 2004

⁴⁰ القادة هم سيد زكي، وزير مالية سابق؛ مكي بلال، مستشار رئاسي سابق للسلام في عهد النظام الحالي؛ بكري حسن عديل من حزب الأمة وبشير آدم رحمة من المؤتمر الشعبي. أنظر "أبناء كردفان يطالبون بحصتهم من النفط وحقوقهم في انتخاب حاكمهم"، تصريح بالعربية نشر في 9 فبراير 2004 على الموقع:

<http://www.sudaneseonline.com/anews/feb9-28211.html>

⁴¹ نفس المصدر

سياسية أخرى. إثر خلاف مع حسن الترابي المهندس الروحي للحركة الإسلامية. غادر يحي إبراهيم بولاد أرفع كوادر الجبهة الإسلامية القومية بدارفور صفوف الحركة منضمًا إلى الجيش الشعبي لتحرير السودان ليقود هجوم 91-1992 في الإقليم. في ردها علي ذلك الهجوم قامت الحكومة بتسليح واستقطاب مقاتلي القبائل العربية واصفة الهجوم بأنه عصيان من شعب الفور. قوي نجاح هذه الإستراتيجية من وشائج التحالف بين الخرطوم والمقاتلين الدفوريين العرب.

كان لانقسام ثاني في الحركة الإسلامية الحاكمة أثرا مماثلا في زعزعة استقرار دارفور ففي عام 2000 كون الترابي والذي كان وقتها رئيسا للبرلمان حزب المؤتمر الوطني الشعبي الذي أسمى لاحقا "المؤتمر الشعبي" في أعقاب صراع شرس على السلطة مع حزب المؤتمر الوطني الحاكم. في سعيهم لتوسيع قاعدة المؤتمر الشعبي توجه ناشطوه نحو سواد أهل السودان من السكان الأفارقة المهمشين. وذهب المؤتمر الشعبي في فبراير 2001 إلي حد توقيع اتفاقية مع الجيش الشعبي لتحرير السودان تعهد بموجبها الطرفان على متابعة العمل لخلق حكومة البشير بالطرق السلمية. تمثل رد فعل الحكومة في حظر نشاطات المؤتمر الشعبي وتوقيف العديد من قياداته بمن فيهم الشيخ الترابي حتى أواخر 2003.

في محاولة المؤتمر الشعبي لخطب ود قواعد السودانيين الأفارقة ناظر المؤتمر الشعبي في كتيب واسع التوزيع "الكتاب الأسود" بأن الفصل الإسلامي الحاكم كان يحجب عن أهل دارفور والمناطق الطرفية الأخرى المناصب العليا بينما يعطي أفضلية التعيين في تلك المناصب أبناء الإقليم الشمالي الذين ينحدر منهم الفصل الحاكم نفسه سند المؤتمر الشعبي زعمه بحصر شاغلي المناصب العليا وتصنيفهم وفقا للوظيفة، العنصر وإقليم الأصل. في محاولة لنقض ذلك الزعم المدمر اعترف الرسمىون السودانيون الكبار طوعا بأن كل السودان باستثناء العاصمة وسهول وسط الجزيرة "مهمش". عانت دارفور حقيقة لعقود حظها من سوء إدارة الاقتصاد الوطني والفساد وعدم جدارة النخب الحاكمة.

ترك منطق ومنهجية الكتاب الأسود أثرهما على الصراع الحالي. إذ أعد زعماء الزرقاء قائمة مفصلة بأسماء وقبائل المحافظين السابقين والحاليين، الوزراء المركزيين والولائيين وحكام ولاية جنوب دارفور خلال الأعوام 1989-2003 ومن ثم فصلت القائمة وفقا للانتماء "كعرب" و"غير عرب"⁴².

زاد خليل إبراهيم مؤسس حركة العدل والمساواة من تعقيد العلاقات المضطربة بين الزمر الإسلامية الحاكمة وتلك المنشقة عنها. وخليل إبراهيم إسلامي محنك ووزير دولة سابق وقف مع انشقاق المؤتمر الشعبي في 2002 وذهب إلى المنفي في هولندا وكان راعيا لمؤتمر انعقد في ألمانيا في أوائل أبريل 2003 ونال حظا واسعا من التغطية الإعلامية وتمخض عنه "إتحاد الأغلبية المهمشة"⁴³.

أرجع اللواء عبد الكريم عبدالله محمد مدير الاستخبارات وقائد فريق التفاوض الحكومي في أعقاب شبه انهيار محادثات تجديد وقف إطلاق النار الاسمي في أوائل نوفمبر بين الحكومة وجيش تحرير السودان "انظر أدناه" مواقف المتمردين المتشددة وصياغتهم المتحسنة لمطالبهم السياسية إلى العون الذي قدمته لهم، حسب زعمه، عناصر المؤتمر الشعبي. أعترف المؤتمر الشعبي بأن بعض كوادره القيادية قد انضمت بعد وقت قصير من الإفراج عنها إلى صفوف التمرد لكنه أنكر مسؤوليته. أشار المؤتمر إلي أن أعضاء من الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة الأخرى قد انضموا للتمرد وجادل بأن هذه التهم وجهت له توطئه للانقضاض عليه⁴⁴. أوقفت الحكومة حقيقة عشرات من أعضاء المؤتمر الشعبي عند الوقت الذي كانت تسمى فيه المؤتمر الشعبي بالواجهة الجماهيرية لحركة العدل والمساواة.

بالرغم من أن المؤتمر الشعبي ذكر بأنه لا يوافق على استخدام المتمردين للقوة إلا أنه لم يكن إعتذاريا في تضامنه مع قضيتهم. ذكر الترابي في مؤتمر صحفي عقد في أواخر فبراير 2004 بأن الهدف عادل وإن الموقف يحتاج حلا

⁴² "مشاركة أبناء ولاية جنوب دارفور في حكومة الإنقاذ خلال الأعوام 1989-2003"، بالعربية، دون تاريخ ولكن يرجح أن تكون قد كتبت في أواخر 2003. توجد بملفات مجموعة الأزمات الدولية. يوضح السجل أن 41 منصبا من بين الـ 63 منصبا ذهبت لأشخاص من خلفيات عربية و23 لغير العرب.

⁴³ حضر المؤتمر عدد من التنظيمات من بين أعضاء التحالف الوطني الديمقراطي المعارض ومن بينهم الجيش الشعبي لتحرير السودان، التحالف الديمقراطي الفدرالي ومؤتمر البجا كما شارك أيضا علي الحاج القيادي الثاني في تدرج المؤتمر الشعبي. أنظر البيان الأول لإتحاد الأغلبية المهمشة علي الموقع:

<http://www.hornofafrica.de>

⁴⁴ "الترابي ينفي تورط حزبه في أحداث دارفور"، وكالة فرانس برس، 31 ديسمبر 2003

سياسيا وليس ردا كرد الحكومة العسكري الجسيم⁴⁵. أعلن الترابي لاحقا إن دعوة الحكومة لمؤتمر قومي " ممسرحة ومطبوخة " وقال أن المعارضة السياسية ستقاطعها وحمل الحكومة مسؤولية العنف لأنها فتنت القبائل وسلحت الجنجويد الذين تجاهلوا المهام التي أوكلتها لهم الحكومة وفضلوا مهاجمة القرويين واتهم الخرطوم أيضا بأنها أوقفت تعسفا أكثر من مؤتى ناشط معارض في أنحاء القطر وبخاصة في دارفور فيما يتصل بذلك الصراع⁴⁶.

إن قناعة الحكومة بأن غرمائها الإسلاميين قد اختطفوا تمرد دارفور هي السبب الرئيسي وراء رفضها التحادث مع المتمردين وبخاصة مع حركة العدل والمساواة. يتم اللعب في دارفور علي وتر التنافس الشخصي بين نائب الرئيس " طه " وبين شيخه السابق الترابي للهيمنة على الحركة الإسلامية والبلاد والمدنيون هم الضحايا الأساسيين للعبثهم تلك.

ب. التجمع العربي

أسفر التجمع العربي المثير للجدل لأول مرة عن نفسه في رسالة بعث بها في الخامس من أكتوبر 1987 لرئيس الوزراء، الصديق المهدي وقعا 23 من قادة دارفور المنحدرين من أصل عربي ويشملون خليطا من تيار المثقفين، وشخصيات قبلية ورسميون كبار. أرجعوا فيها " للعنصر العربي " " صناعة الحضارة في ذلك الإقليم... في مجالات الحكم والدين واللغة"⁴⁷ واشتكو من أن تمثيلهم علي مستوى الحكومات المحلية، الإقليمية والقومية غير كاف مطالبين بحصة تمثيلية تبلغ 50% على المستويات الثلاثة اعترافا بوزنهم الديمغرافي، إسهامهم في توليد الثروة، المعرفة/التعليم ودروهم التاريخي كرسل حضارة واختتموا رسالتهم بتهديد شفيف بطن "نخشي إن استمر هذا الإهمال للعنصر العربي في المشاركة أن ينتقل الأمر من أيدي العقلاء إلي أيدي الجهلاء فيحدث ما لا تحمد عقباه"⁴⁸.

أثار الخطاب جدلا واسعا وأدانتة العديد من الأحزاب السياسية وقادة الرأي وقد ولد دعاوى لمناهضة الانفصام العرقي الوليد خشية إن يضر بالنسيج الاجتماعي الهش بالإقليم ضررا لا يرجى صلاحه⁴⁹.

بينما كان للرسالة القليل لتذكره عن غير العرب إلا أن لهجتها كانت استعلائية مظهرة العرب كحملة ألوية الدين والثقافة والحضارة زاعمة بأنهم أسهموا بنصيب الأسد في ثروة الإقليم. إن الإيعاز بأن الآخرين أقل إنجازا بكثير يستند إلى أنماط أفكار تروج وسط المجموعات العربية تنظر إلى المزارعين بأنهم على شأن ثقافي منحط. تجاهل الموقعين الإسلام كعنصر موحد مغفلين أجيالا من المصاهرة والتعايش السلمي ومستخدمين الإثنية كعنصر للتفريق.

يظل التجمع العربي حتى يومنا هذا ظاهرة دارفورية غير أن إيديولوجيته المدمرة قد تمتد إلى كل مجتمعات السودان المتعددة حيث ترى بعض المجموعات نفسها علوية العنصر أو الثقافة مقارنة بالآخر. لا تختلف دارفور كثيرا عن غيرها من الأماكن الأخرى في السودان وبقية العالم في هذا المنحى حيث يقوم التوتر بن الجماعات الإثنية والجهوية والدينية. تتحول هذه التوترات في أحيابين إلى مواجهات عنيفة عادة ما يكون فتيل إشعالها الطموح السياسي والاقتصادي لأفراد عديمي الضمير يقومون بتحريك المخاوف والتطلعات الجماعية لمجموعاتهم بغرض خدمة مآربهم الخاصة.

من الواضح أن لأيدولوجية التجمع العربي الاستعلائية ضلع في مسؤولية تمكين الأهالي " الجهلاء " الذين أشير إليهم في الرسالة من قتل ونهب واغتصاب أمثالهم من الدار فوريين وهم مقتنعين بأن ضحاياهم أوضع منهم منزلة.

⁴⁵ أنظر "الترابي: الحكومة تنهم تشاد بالتورط المستتر في أحداث دارفور"، بالعربية، البيان، 25 فبراير 2004؛ أيضا "الترابي: الحكومة توقف 200 ناشط المعارضة ستقاطع مؤتمر دارفور"، بالعربية، الحياة، 25 فبراير 2004 أعترف الترابي بعد فترة وجيزة من إطلاق سراحه بعد اعتقال تحفظي دام لأكثر من عامين بأن حزبه علي اتصال وثيق مع متمردي دارفور ووعد بأن يستخدم نفوذه عندهم "لا ليلقوا سلاحهم ولكن للتأكيد علي أنهم سينالوا كافة حقوقهم"؛ أنظر "الترابي يعترف بصلاته مع متمردي دارفور- يعلن البرنامج المستقبلي لحزبه"، بالعربية، الخليج، 15 أكتوبر 2003

⁴⁶ "الترابي: الحكومة توقف 200 ناشط"، نفس المصدر
⁴⁷ ورد في: حسين أحمد الحاج "التجمع العربي ومحاولة إلغاء الآخر في دارفور"، بالعربية، 31 ديسمبر 2003 علي الموقع: <http://www.sudanile.com/sudanile13.html>

⁴⁸ نفس المصدر
⁴⁹ نفس المصدر

لقد أدي التسريب المتقطع لوثائق يعتبرها الناشطون غير العرب مذكرات داخلية للتجمع العربي، وهي في محتواها أبعد كثيرا عن التحفظ الذي شاب الوثيقة العلنية الأولى، لزيادة مخاوفهم من وجود مخطط مفصل يضم قبائل رعية أجنبية يهدف إلى إحلال قبائل عربية عنوة في أراضي قبائل المزارعين الدار فوريين من غير العرب⁵⁰. تفيد إحدى الوثائق التي ترجع للعرب إلى تسجيل أجندة اجتماع سرى للتجمع العربي زعم بأنه انعقد في منتصف 1988 عقب تعيين المهدي للتجاني سيسي حاكما لدارفور تدعو فيها أعضائها إلى

1. إثارة المتاعب في طريق الحكومة الإقليمية لإقلاقها واستخدام كل الوسائل المتاحة حتى لا تتمكن من تنفيذ سياساتها وبرامجها الإصلاحية.
2. العمل على شل حركة مرافق الخدمات بمناطق الزرقا لزعزعة المواطن وجعله يشعر بضعف الحكومة وعجزها عن توفير أبسط مقومات الحياة.
3. مضاعفة المتطوعين في كل مناطق الزرقا لأن الواجب يحتم علينا عدم إستتباب الأمن ووقف الإنتاج في تلك المناطق وتصفية الزعماء.
4. العمل على خلق منازعات بين قبائل الزرقا حتى لا يكونوا متحدين.
5. علي أعضاء التجمع العربي الذين يشغلون وظائف قيادية الالتزام بالاتي:
أ- تركيز الخدمات ما أمكن في مناطق نفوذ التجمع.
ب- عدم وضع أبناء الزرقا في وظائف ذات أهمية والعمل على وضع العراقيين أمام الذين يتولون منهم وظائف أدراية وتنفيذية كل ما سنحت الظروف.
ج- العمل بكل الوسائل والسبل لوقف استقرار المدارس في مناطق الزرقا⁵¹

تمدد الاستقطاب الإثني باندلاع التمرد الحالي إلى تطرف سياسي وعسكري غير مسبق. تمضي الآن تعبئة غير العرب قدما بصورة لا يمكن إنكارها تغذ منها المخاوف من المخططات الاستراتيجية لما نسب للتجمع العربي وللطبيعة غير التمييزية لحملة الحكومة في إخماد التمرد. ذكر بأن قادة العرب وغير العرب المعتدلين علي حد سواء قد أبدوا انزعاجهم لهذه التطورات التي تهدد التعايش المشترك الذي جبلت عليه لآماد طويلة شعوب دارفور.

تلقت الخرطوم مناشدات عاجلة تنم عن انزعاج من داخل المؤسسة الدرافورية ومن الزعامات التقليدية على تفاوت التقسيمات الإثنية تحذر فيها من حرب إثنية شاملة. وفي حادثة تدعو للانزعاج لم تلق تغطية إعلامية في داخل السودان وخارجه اتهم واحدا وعشرين شخصا من قادة قبائل دارفور أفرادا لم يسموهم من حزب المؤتمر الوطني الحاكم بجنوب دارفور بالدعوة لإستراتيجية التجمع العربي وهم يطوفون كلجنة للتنسيق السياسي للتجمع. ألحق القادة بإفادتهم تلك ما زعم بأنه ست وثائق داخلية حتى يتمكنوا من توضيح شناعة الفتنة التي يدعو لها التجمع العربي وإظهار أن حال دارفور بدءا بالنهب المسلح والحروب القبلية وإنهاء بانتهاكات الجنجويد نتجت في الواقع عن تحرك مستمر لمنظمة تعرف باسم التجمع العربي⁵².

زعم القادة بأن الوثائق دلت على وجود تنظيم عنصري قبلي له لجان متخصصة كلفت بتنفيذ استراتيجيات محددة جيدا وممرحلة وهو يستخدم مؤسسات الدولة والحزب الحاكم وأن مهمته لم تقصر نفسها علي زعزعة استقرار دارفور فتخطت أنشطته حدود دارفور والسودان إلى أقطار مجاورة⁵³.

⁵⁰ أنظر التحليل المثير للاهتمام للوثائق التي ترجع للتجمع العربي، حلقة من ثلاثة مقالات بعنوان "الجنجويد" كتبها حسين أحمد الحاج ونشر الأصل في نوفمبر 2003 علي موقع <http://www.sudanile.com/sudanile>

⁵¹ نفس المصدر

⁵² ترجمة غير رسمية لوثيقة "قبائل دارفور: البيان الأول حول الفتنة العرقية"، بالعربية، 18 ديسمبر 2003، إضافة إلى خطاب عام 1987 الموجه للصادق المهدي وأجندة اجتماع 1988 لتعويق مساعي حاكم الإقليم الذي عينه والمذكورين أعلاه، تضم الوثائق الأخرى الملحق بالبيان: توجيهات تخاطب العضوية صادرة عن قسم التجمع للعمليات العسكرية في دارفور، 1992؛ توجيه سري جدا بتاريخ 1998 لمنظمة تطلق علي نفسها اسم قريش والتي يعتقد الموقعين أنها تجسّد آخر للتجمع؛ وتقرير عن مهمة للجنة السياسية لمجلس تنسيق القبائل العربية، نوفمبر 2003.

⁵³ نفس المصدر. تحس دارفور منذ السبعينيات آثار الحروب الأهلية في تشاد، جمهورية أفريقيا الوسطي المجاورتين. استخدمت ليبيا أيضا مليشيات أفريقية من أرض دارفور للتأثير علي صراعات القوي في دول الساحل

حظيت هذه المزاعم بقدر كبير من المصادقية فبعد تسعة أيام أرسل أحد عشر عضوا من المؤتمر الوطني بقطاع جنوب دارفور من بينهم أعضاء في البرلمانين الولائي والقومي بمذكرة تخاطب رئيس وأمين المؤتمر الوطني وتحذر من جهود بعض أعضاء الحزب الرامية لتحقيق أهداف تنظيم عنصري لم تتم تسميته ذكروا فيها أن هذه النشاطات تهدد بعرقلة وحدة الحزب ومصادقته القومية مضفين:

"تابعنا بإشفاق شديد استغلال فئة من أعضاء المؤتمر الوطني لمؤسسات الحزب وتوجيهها لأغراض تعمق أهداف تنظيم عنصري يدعو إلى فتنة مفادها تفريق أهل دارفور وإعطائهم أسماء عرقية والسعي لطمس تاريخ هذا الإقليم... لقد تأكد لنا أن هذه الفتنة التي جابت أرجاء الولاية لعزل قبائل بعينها من الحزب الحاكم... ولما لم نشهد أي تحرك من قيادة الحزب في الولاية أو المركز شجبا أو استنكارا أو تحقيقا للوقوف على دواعي قيام هذا التنظيم واستغلال أفراده لمعينات الدولة ومنابر لمؤتمر الوطني في تنفيذ مخططات هذه الفتنة... ونحن كأعضاء في المؤتمر الوطني بهذه الولاية لا نرضى أن تغرق هذه الولاية في أي إنتهاك لأمن المواطنين وحرمااتهم... ولا نرضى باستخدام العنف أو العزل أو التهجير أو التطهير العرقي لتحقيق مغنم ذاتية أو واقع زائلة"⁵⁴

لم تحرك الخرطوم ساكناً حطي الآن في التجاوب مع أي من المطالبين بإجراء التحقيقات اللازمة.

ج- سوء إدارة الحكومة واستغلالها للمبادرات المحلية

تزامنت اعتراضات أعضاء المؤتمر الوطني الكبار والمسؤولين المعنيين بجنوب دارفور مع زيارة وفد عالي المستوى من المؤتمر الوطني لمدينة نيالا. حذر الحاج عطا المنان رئيس الوفد وأمين المؤتمر الوطني بولاية الخرطوم عند عودة الوفد إلى الخرطوم بأن الوضع في دارفور يندرج بأن يصبح صراعا إثنيا بين القبائل العربية وغير العربية⁵⁵ وبالرغم من ذلك التحذير ظل الحزب الحاكم مركزا على اختطاف نصر عسكري. في خطاب متلفز إلى الأمة في 31 ديسمبر 2003 زعم البشير بأن "جزءا من قبيلة" مسئول عن العصيان وترجع الإشارة بوضوح إلى قبيلة الزغاوة التي تسعى الحكومة إلى عزلها عن الفور، المساليت، الميذوب والمجموعات الأخرى التي ثارت.

بينما استغلت الحكومة الواقع الإثنى لتحقيق مكاسب عسكرية قصيرة الأمد سعت رغماً من ذلك في الربع الأول من 2003 لإطلاق حملة لرتق النسيج الاجتماعي لدارفور. اعتمدت في ذلك على تعبئة القادة القبليين تحت مظلة الحزب الحاكم وذراعي الحكومة التشريعي والتنفيذي في الدعوة للتعايش السلمي وفي ذات الوقت جمدت الحكومة بفعالية المساعي الدبلوماسية. كان الغرض من هذا المنحى كسب الوقت لإحراز نصر عسكري يجنب الحكومة الحاجة للتفاوض بشأن تسوية سياسية.

تكشفت حملة إصلاح النسيج الاجتماعي الدارفوري عن قصور كلي إذ أن وفود القبائل قابلت فرادى الرئيس وكبار الرسميين وظهروا في وسائل الإعلام التي تتحكم فيها الدولة وهم ينددون بالتمرد متعهدين بإحياء التعايش السلمي. تساءل أحد القادة المشاركين: "كيف يمكن تحقيق تسوية قبلية في وقت تشعر فيه قبيلة واحدة بأنه تتم معاقبتها جماعيا على التمرد والدولة تفضل التحدث من المجموعات المختلفة كل على حدة"⁵⁶.

هنالك حاجة ملحة لتسوية اجتماعية تقوم على عملية ذات قاعدة عريضة ولكن يبدو بجلاء متزايد أنه ليس بمقدور الحكومة وحدها أن تفعل ذلك. بوسع المشاركة الدولية المساعدة في تيسير مثل هذه العملية وإبقائها محايدة لدرجة كافية حتى تتأتي لها فرصة حقيقية للنجاح. من الممكن أن يتم هذا بواسطة المنظمات العالمية التي تتخصص في التيسير والعمل في السلام القاعدي علي غرار ما يتم في جنوب السودان. على المجتمع الدولي أن يركز في المدى القصير على التأكد من أنه بوسع النازحين والأشخاص النازحين داخليا العودة لمناطقهم والمساعدة في إعادة البناء. وعلى المدى البعيد عليه ترقية مشاريع التنمية التي تهدف إلى تشجيع الإدارة المستدامة للموارد، وزيادة مصادر المياه لمقابلة

⁵⁴ ترجمة غير رسمية للبيان، بالعربية، 27 ديسمبر 2003 وقع عليه 111 من أعضاء الحزب الوطني. تحصلت المجموعة علي نسخة منه. أوردت الدعوة اليومية التي تصدر بالخرطوم الخبر مضيفة بأن أعضاء المؤتمر الوطني أرفقوا مع بيانهم الوثائق المذكورة أعلاه

⁵⁵ أنظر "الجهود البريطانية والاتصالات القبلية للتوسط بين الخرطوم وتمردي دارفور"، بالعربية، الحياة، 11 يناير 2004

⁵⁶ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، يناير 2004

النشاطات الزراعية وإدارة المراعى. وأخيرا فإن على المانحين مساندة مجهودات التسوية القائمة من الشعب وإلى الشعب بنفس الطريقة المتبعة في الجنوب.

1- عمليات السلام والتصالح من الداخل

لم يكن هناك من نقص في المبادرات الداخلية للتفاوض من أجل تسوية سلمية بين الحكومة والتمرد أو لتحقيق المصالحة بين الجماعات الإثنية. ولدت هذه الجهود حشدا من المشروعات تتنافس لتحوز الاهتمام في ولايات دارفور الثلاث وعلى المستوى القومي. وعلى المستويين ناورت الحكومة والحزب الحاكم للإمساك بعجلة القيادة بيد أن الحكومة تحجب كل دعم مادي ولوجستى حينما تفشل في السيطرة على مجريات الأمور.

لجأت كل هذه المبادرات للنهل من عمليات السلام من الشعب وإلى الشعب الذي تمتد جذوره عميقا واستخدم لأجيال في تسوية و احتواء الصراعات المجتمعية في البلاد. حافظت مؤتمرات السلام القبلية كثيرا في السابق على التعايش السلمي بين شعوب السودان المتعدد الإثنيات واستخدمت الإدارة البريطانية والحكومات الوطنية المتعاقبة بما في ذلك الحكومة الحالية هذا النظام للحفاظ على السلام الاجتماعي وكفلت الاتفاقيات التي توصل إليها أطراف النزاع. برغم ذلك إن سياسة استدراج القبائل للمساهمة في استراتيجيات إخماد التمرد منذ منتصف الثمانينيات في جنوب السودان وغيره من مناطق التماس بين الشمال والجنوب عرضت صنع السلام المجتمعي للخطر وقد وصلت استراتيجية تسييس وعسكرة القبائل في ظل النظام الحالي مستويات غير مسبوقة.

قبل إعلان مؤتمر دارفور الحكومي في 9 فبراير 2003 كان هناك القليل من التنسيق بين مبادرات السلام الداخلية العديدة بما في ذلك المبادرات التي أطلقتها الحكومة نفسها والحزب الحاكم والبرلمان. في ظل الافتقار إلى تغيير جوهري في سياسة الحكومة تجاه دارفور والمناطق الطرفية الأخرى لا يملك المؤتمر فرصة للنجاح بل قد يجعل الأمور أسوأ مما هي عليه. تحاول الحكومة وأجهزة إعلامها الرسمية أن تستغل فيض المبادرات لتخلق انطبعا بأن شيئا يتم القيام به لحل الأزمة سلميا بينما تظل سياساتها علي أرض الواقع مرتكزة على الأمن.

2- مؤتمر الفاشر – فبراير 2003

كان رد الفعل الحكومي الأساسي للاضطرابات في 2003 هو تشجيع المصالحات المجتمعية فشكلت آلية لبسط هيبة الدولة وعبأت زعماء الإقليم التقليديين والنخب الحديثة للوصول إلى حلول. وفقا لمصادر مجموعة الأزمات الدولية فإن اللواء إبراهيم محمد سليمان الذي ترأس الآلية وكان حينها واليا لشمال دارفور فضل التفاوض مع التمرد حتى قبل إن يعلن التمرد عن نفسه فأبتدر الاتصالات مع قادة التمرد واجتمع معهم في مكتبه ومقره بالفاشر وفقا لخلفه⁵⁷ بالرغم من ذلك فإن هذه الاتصالات لاقت معارضة من المتطرفين من الحكومة والجيش الذين شعروا بأن الوقت يضيق وأن بوسع الجيش بسهولة سحق التمرد المسلح. دعت آلية بسط هيبة الدولة المئات من القادة المحليين إلى لقاء تشاوري حول الأمن في دارفور في 24-25 فبراير 2003 بالفاشر. أوصى الاجتماع بأن تجرى الحكومة حوارا مع المتمردين قبل أن تستخدم القوة وكون أربعة لجان على أساس قبلي متقابل والقبائل الأساسية في التمرد لتجرى تفاوضا مباشرا. اجتمعت لجان أعيان الفور، الزغاوة والعرب ولجنة محايدة تعنى بالتفاوض مع كل المجموعات الأخرى خلال الأسابيع التي تلت بالكواثر المتمردة.

أفادت لجنة الفور والزغاوة الآلية بأن المتمردين أوصلوا مظالمهم ومطالبهم وعبروا عن استعدادهم للتفاوض مع الحكومة بشرط ألا يتم اختيار ممثلي الحكومة من قبائل بعينها كما أقرح مؤتمر الفاشر. رفض متمردو الفور والزغاوة سياسات فرق تسد الحكومية وطالبوا باحتضان كل الدارفوريين⁵⁸.

⁵⁷ المؤتمر الصحفي لوالي دارفور، بالعربية مركز الإعلام السوداني، 26 يناير 2004 علي الموقع <http://www.smesudan.net>

⁵⁸ "تقرير لجنة الفور لمؤتمر الفشر التشاور لقيادات دارفور 24-25 فبراير"، بالعربية، يعطي وقائع اجتماعهم مع قيادات جيش تحرير السودان، 16-18 مارس 2003

انقسم المؤتمر في النهاية بين مشاركين يحبذون الوصول إلى تسوية سلمية وآخرين يرون أن الحل الوحيد هو الحسم العسكري. بتصاعد الخلاف فاز المتشددون في المناظرة ونقلت الحكومة قيادة عمليات إخماد التمرد إلى رئاسة الجيش بالخرطوم وأعفت الوالي سليمان.

3- مبادرة نهار / مسار

قام في أواخر يونيو / يوليو 2003 كل من وزير التربية والتعليم أحمد بابكر نهار وهو من الزغاوة، وحاكم ولاية نهر النيل بشمال السودان عبد الله على مسار وينحدر من عرب الرزيقات وكلاهما مسئول رفيع في حزب الأمة الإصلاح والتجديد بمخاطبة المتمردين بشأن معالجة تفاوضية لأزمة دارفور. برغم تصنيفهما لمبادرتهما بالخاصة إلا أنهما حظيا بموافقة الرئيس البشير قبل ذهابهما لدارفور. رافق المسؤولين وفد تفاوضي كبير من 30 من المسؤولين المحليين وزعماء القبائل إلى المناطق التي تسيطر عليها قوات جيش تحرير السودان. وعرض الوفد فرصة لإحياء التعايش السلمي لكنه فشل.

ذكر جيش تحرير السودان بأنه مستعد لمحادثات سلام بشروط من بينها الاعتراف بالطبيعة السياسية لتمردهم ووقف النهب المسلح وتجريد مليشيات الجنجويد من السلاح. في دفاع عن جيش تحرير السودان أوضح الوالي مسار في حوار معه أن هدف جيش تحرير السودان هو "محاربة النهب المسلح"⁵⁹. ووصف وزير التربية والتعليم قضية جيش تحرير السودان بأنها عادلة ومنطقية في بعض جوانبها وقابلة للأخذ والرد⁶⁰.

أوصى المسئولان بأن يتبع الرئيس البشير تسوية تقوم على التفاوض برغم ذلك أصبح افتقار الحكومة للاهتمام جليا إذ تهاوت المبادرة في خضم العداء السياسي. من الواضح أنه قد تم الاستخفاف برئيس حزب الأمة الإصلاح والتجديد مبارك الفاضل المهدي إذ تم تجاوزه من قبل مسؤولي حزبه الرفيعين مما دفع الفاضل المهدي لنعت المتمردين بالخارجين عن القانون وأدان المبادرة وشرع في إجراءات لفصل زميليه عن موقعيهما الحزبيين⁶¹.

4- المبادرات الأخرى

من بين مبادرات من الشعب إلى الشعب التي لاقت تقدما ضئيلا اجتماع نيروبي الذي نال كثيرا من التغطية الإعلامية في 23 يناير 2004 بين نائب الرئيس " طه " واحمد إبراهيم دريج أحد حكام دارفور السابقين البارزين وأحد قادة المعارضة بالمنفى ووفقا لموجز إعلامي أصدرته السفارة السودانية بنيروبي اتفق الطرفان على أن الحوار هو السبيل الأمثل لحل القضايا وأدانا أي لجوء إلى العنف. أكد دريج وفقاً لما جاء في التقارير الصحفية بأن مشاكل دارفور سياسية واقتصادية ودعي لوقف فوري لإطلاق النار كشرط لاستكمال التفاوض ووعد بأن يحاول استمالة المتمردين لوقف العدائيات⁶². يذكر أن دريج ظل على الدوام معارضا لقرار المتمردين بحمل السلاح⁶³. أعرب قادة آخرون من المعارضة بالمنفى عن خيبة أملهم لقرار دريج الاجتماع مع طه⁶⁴ بالرغم من ذلك فقد استخدم دريج نفوذه لإستمالة جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة للمشاركة في الحوار الانساني الذي كان من المفترض ان يجري في 14-15 فبراير بجنيف حتى انسحبت الحكومة فجأة.

كانت المبادرة التي شاركت بها قيادات الزغاوة التقليدية في أوائل يناير 2004 إحدى المبادرات الأخرى التي لم يقدر لها أن تعيش طويلا. كان وراء تلك المبادرة حسن بركو وهو زغاوي يتأصل من شعبة غرب أفريقيا بالحزب الحاكم. عقد برقوق اجتماعا تم الاعلان عنه بصورة مكثفة للمجلس الاستشاري للزغاوة في وقت كانت الحكومة تهاجم فيه مواقع المتمردين ومن يساندتهم من المدنيين في دارفور. وقد خرج الاجتماع ببيان عرض فيه خدمات الزغاوة لإحياء

⁵⁹ وزير التعليم يقول للشرق الأوسط: لم يختطفني أحد، ولمحارب دارفور قضية عادلة... جيش تحرير السودان يجدد 12 شرطا لبدء الحوار مع الحكومة"، بالعربية، الشرق الأوسط، 20 يوليو 2003، لا بد أن تصريح مسار أذهل الدار فوريين الذين عرفوه كأحد الموقعين علي الخطاب العلني التجمع العربي لعام 1987.

⁶⁰ نفس المصدر

⁶¹ "فشل مبادرة نهار/مسار في الوصول إلى نتائج"، بالعربية، الشارع السياسي، 25 يوليو 2003

⁶² "تصريح صحفي"، خدمات الأخبار السودانية، مكتب الإعلام، السفارة السودانية، نيروبي، 24 يناير 2004

⁶³ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، إبريل 2003-يناير 2004

⁶⁴ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير 2004

المباحثات بين الحكومة والمتمردين . وقد ذكر الزعماء عقب لقائهم البشير بأنهم سيرسلون وفدا من حوالي خمسين شخصا لمقابلة الرئيس التشادي . لم يغادر الوفد الخرطوم مطلقا فقد اعترض زغاوة ذوي نفوذ بأن المبادرة توفر مصداقية للدعاية الحكومية التي تصور الزغاوة كفاعل أساسي في التمرد⁶⁵.

عرضت الأحزاب المعارضة وجماعات المجتمع المدني أيضا المساعدة في حل الأزمة ولكن الحكومة لم تول الأمر اهتماما . كتب منبر السلام السوداني (مظلة تضم في عضويتها بعض أعضاء الحزب الحاكم المعتدلين) في 27 ديسمبر 2003 إلى الرئيس البشير لإبلاغه عن خطتهم لعقد مؤتمر وطني سائلين تعاونهم وساردين أبعاد الأزمة الإنسانية ودعوه بالإعتراف بأن الأزمة يمكن أن تحل فقط بتبني سياسات جذرية تهدف لمعالجة الأسباب الجوهرية لإنعدام الديمقراطية والتهميش السياسي والتنموي ملتزمين إنهاء التصعيد العسكري والدعوة إلى تجريد الملشيات الإثنية من السلاح وطالبوا بتبني برنامج لإنقاذ الضحايا ولتخطيط تنموي طويل الأجل⁶⁶ . حاول المنبر شرح أبعاد القضية للمواطنين ولكنه فشل إلى حد كبير بسبب التعقيم الذي تضربه الحكومة على الأخبار ولإنعدام موارده⁶⁷.

3. أطراف الصراع

أ. استراتيجية الحكومة

لا يمكن النظر إلى الوضع في دارفور بمعزل عن عملية الإيقاد . عندما تزايد الدليل على العنف الجسيم الذي يمارس ضد المدنيين في دارفور في الربع الأول من عام 2003، ظل شركاء الخرطوم في العالم منقسمين حول كيفية التعامل مع القضية. فبينما استكشف المجتمع الدبلوماسي في الخرطوم آليات محتملة تفقد نحو عمل دولي، مثل البيان الذي قدمه أحد كبار المسؤولين عن الشؤون الإنسانية في الأمم المتحدة يقدم بياناً أمام اجتماع لمجلس الأمن على سبيل المثال، ناصر ممثلو دول ذات نفوذ وتحديدا المملكة المتحدة والولايات المتحدة الرأي القائل بعدم تصعيد الأمور⁶⁸.

استغلت الحكومة هذا الاختلاف لتتابع حملتها العسكرية وهي تنحي باللائمة على المتمردين لإنهيار مباحثات انجمينا لوقف إطلاق النار في أواسط ديسمبر ورغم أنها غادرت العاصمة التشادية دون أن تجتمع بهم . ترجع مواقف الحكومة في انجمينا ومحادثات الإيقاد إلى رغبتها في إعطاء الجيش وقتا ليقوم بضربة ساحقة حتي يتسني لها فرض شروطها على جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة المنهزمين . وتخشي الحكومة من استمرار الصراع إلى حين يصبح فيه حيز المناورة المتاح أمامها محدوداً جداً نتيجة لتنامي الضغط العالمي ومشاركة الجيش الشعبي لتحرير السودان والقوى السياسية الأخرى في عملية صياغة السياسات .

ومع تصاعد الصراع في دارفور، تزايدت الخلافات السياسية فعلى سبيل المثال استخدمت الحكومة انضمام جيش تحرير السودان إلى التجمع الوطني الديمقراطي المعارض في منتصف فبراير 2004. كذريعة لتعليق حوارها مع التجمع.

وقعت الحكومة والتجمع الوطني الديمقراطي إتفاقية إطارية في أوائل ديسمبر 2003 في ميناء جدة السعودي صادق بمقتضاها التجمع على عملية الإيقاد كما اتفقا أيضا على أن ترتيبات السلام المرتقبة ستفتح الطريق لسودان ديمقراطي . أخبر نائب الرئيس طه مبعوث التجمع في نيفاشا بأن الحكومة قد قطعت اتصالاتها بالتجمع حتى "يصحح من قراره بقبول متمردي دارفور"⁶⁹ وضع هذا التجمع تحت ضغط لا يستهان به ولم يتفق أعضاؤه حول ما إذا سيطرد جيش تحرير السودان منه⁷⁰ .

⁶⁵ أنظر "الإدارة الأهلية للزغاوة تكسر صمتها: إدانة واسعة للحرب إجماع حول ضرورة الحوار"، بالعربية، ألوان، 11 يناير 2004. أنظر في نفس العدد نص التصريح الهام لأعيان الزغاوة . لوجهة نظر مخالفة أنظر الصادق علي حسن " مبادرة الزغاوة: أزمة انعدام الوعي بالأزمة"، بالعربية، ألوان، 20 يناير 2004

⁶⁶ منبر السلام السوداني، "مذكرة حول الوضع في دارفور"، بالعربية، خطاب موجه للرئيس البشير بتاريخ 27 ديسمبر 2003. تحتفظ المجموعة بنسخة منه في ملفاتها

⁶⁷ أنظر علي سبيل المثال مذكرة منبر السلام السوداني "تصريح حول أزمة دارفور"، بالعربية، 27 ديسمبر 2003

⁶⁸ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، ديسمبر 2003

⁶⁹ حكومة السودان تعلق اتصالاتها مع مظلة مجموعة المعارضة"، وكالة الصحافة الفرنسية، 29 فبراير 2004

⁷⁰ أنظر عدالة أفريقيا "أفاق السلام في السودان، موجز" بالعربية، الشرق الأوسط، 27 فبراير 2004

في ذات اليوم الذي أدلى فيه الرئيس البشير بأول تصريح حكومي عن السياسة الشاملة حول الأزمة في إقليم دارفور أعلن رئيس حزب الأمة المعارض عن مبادرته لحل الصراع⁷¹. أكد هذا التزام علي الأثر الإرتدادي لدارفور في السياسة الوطنية. صوتت دارفور خلال فترات الديمقراطية الوجيزة بصورة طاغية لحزب الأمة ومنحته في انتخابات 1986 خمسا وثلاثين مقعدا برلمانيا من مجموع التسع وثلاثين مقعدا المخصصة للإقليم وبالرغم من ذلك واجه الحزب في أعقاب إندلاع العنف الأخير تحديات حقيقية لاستعادة ثقة المجموعات غير العربية التي تنامي بينها الشعور بأن الحزب قد تعامل بتهاون شديد مع إعلان التجمع العربي عن نفسه في 1987. وكما جاء في مكان آخر فإن مجهودات الحركة الإسلامية لجر دارفور بعيدا عن حزب الأمة كانت وراء بعض السياسات العنصرية المأساوية التي أسهمت في الأزمة الحالية.

تأثرت أفعال الحكومة كثيرا بتخوفها من أن حسن الترابي ومؤتمره الشعبي يستغلان الوضع في دارفور⁷². في حوار أجرى حديثا قال الأمين العام لحزب المؤتمر الوطني "بأن البند الأول في برنامج حسن الترابي هو قلب الحكومة"⁷³

بالرغم من المجهودات الرامية إلى التقليل من أهمية الموقف والتحكم فيه عسكريا فإن دارفور قد أفلتت من سيطرة الحكومة. إن سياسات التفضيل العنصري التي تقود إلى حرب عنصرية تهدد بإطلاق فتيل خلافات لاحقة داخل الحكومة والحزب الحاكم مثلما حدث في فرع حزب المؤتمر الوطني بولاية جنوب دارفور مما أشرنا إليه أعلاه. بينما يزداد الموقف تعقيدا تقوض الخرطوم بانتظام من علاقتها بالمجتمع الدولي و تخاطر بالمكاسب السياسية التي أحرزتها في عملية الإيقاد. إن قرار تجنب محادثات جنيف مع المتمردين هو فرصة مهددة تأتي بأثر عكسي وبالضرورة سيتوجب علي الحكومة المشاركة في منبر أكبر إذا كان للأزمة أن تحل.

في محاولة لتجنب النقد الدولي المتصاعد لسياساتها في دارفور، كونت الحكومة في ديسمبر 2003 لجنة لإدارة الطوارئ تحت مظلة وزارة الخارجية تضم وزارات الدفاع، العون الإنساني وجهاز الأمن الوطني. ذكر متحدث باسم اللجنة بأن تفويض اللجنة هو رصد ردود الفعل العالمية لأحداث دارفور والتصدي لها. واعتراف بأن السودان واقع تحت ضغوط تتعلق بالوضع الإنساني ويسعى جاهدا لمنع تدويل الأزمة⁷⁴ وبالرغم من ذلك فإن الحكومة قد تحتاج إلي آلية دولية كي تتمكن من التعامل مع القضايا السياسية مثلما يحتاجها المتمردون أيضا ومن غير ذلك يصعب تبين كيف سيتسنى للحكومة أن تحتوي العدد المتصاعد من الأصوات الساخطة في الشمال وتتجنب أن تمتد الحرب لأجزاء أخرى من البلاد.

⁷¹ "صادق المهدي يطالب بإعلان دارفور منطقة كوارث- يدعو لحل مشكلتها"، بالعربية، الشرق الأوسط، 27 فبراير 2004

⁷² مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 8 فبراير 2004

⁷³ الأمين العام للحزب الحاكم: البند الأول في برنامج حسن الترابي هو قلب الحكومة

⁷⁴ شكلت لجنة طوارئ من وزارتي الخارجية والدفاع والأمن حول دارفور، باللغة العربية، صحيفة الصحافة، 23 ديسمبر 2003

تنتهج الحكومة استراتيجية واضحة تتمثل في إخفاء الصراع عن العامة وعن العالم الخارجي ولم تظهر أي تسامح تجاه التغطية الإعلامية الناقدة باستحياء. قصدت الحكومة من حظر صحيفة (Khartoum Monitor) المستقلة في 24 نوفمبر 2003، و صحيفة الأيام المستقلة في 3 ديسمبر 2003 وإغلاق مكتب قناة تلفزيون الجزيرة بالخرطوم في 17 ديسمبر 2003 التذكير بتوجيه رسالة خفية للإعلام كي يحصر نفسه علي الروايات الحكومية للأحداث⁷⁵. انزوت صحف الخرطوم الخاصة إثر ذلك بينما ظل إعلام الحكومة والصحف الخاصة التي تتبع الخط الرسمي جزءا من حملة متقنة من الإعلام المضلل. أبعدت القيود علي السفر التي فرضتها الحكومة علي الأجانب بمن فيهم من يعملون في الإغاثة من مناطق القتال و تعرض الناشطون ممن حاولوا تنبيه المجتمع الدولي للتوقيف التحفظي⁷⁶.

حالة د. مضوي إبراهيم آدم تقف دليلا علي ذلك. د. مضوي مهندس يدير المنظمة السودانية للتنمية الاجتماعية (سودو) وهي منظمة غير حكومية تنفذ برنامجا في دارفور أوقف في الخرطوم إثر رحلة قام بها إلي دارفور⁷⁷ وبعد ستة أسابيع قضاها في الحبس دون أن توجه له تهمة ما، ظهر أمام المحكمة في 8 فبراير بتهم تصل عقوبتها حد الإعدام⁷⁸.

ب- الجنجويد

الجنجويد مجموعة منفصلة من المقاتلين ذوي الأصول العربية ومعظمهم دار فوريين. تبنت الخرطوم بدءا من ربيع 2003 في أعقاب انتصارات متتالية لجيش تحرير السودان، استراتيجية الأرض المحروقة والتي تعتمد بصورة أكثر ثقلا علي الجنجويد في استهداف السكان المدنيين ممن يشك في دعمهم للتمرد. تمثلت هذه الحملة في الأغلب في الهجمات على قرى الفور، المساليت والزغاوة⁷⁹.

يبني بعض الجنجويد علي تقاليد (الهمباتة) أو اجتماعيات قطاع الطرق من بين القبائل العربية⁸⁰ وينظر إليهم كصوص نبذتهم مجتمعاتهم لأزدرائهم للتقاليد القائمة برغم الشعور بالحسد الذي يحس به أفراد تلك المجتمعات تجاه مكاسب الجنجويد المادية. ويعتقد بأن عناصر أخرى من الجنجويد كانت من المجرمين المحترفين وهناك من يزعم أن سراحهم قد أطلق تحديدا لينضموا أو يقودوا المليشيا⁸¹. بناءا على التوتر الإثني القائم وعلي ثقافة الغزاة، سلحت الحكومة الجنجويد لدعم الجيش وأطلقت يدهم لينهبوا و يغتصبوا. يحكي المسافرون إلي الإقليم عن أن الجنجويد يتسلحون أما ببنادق (جيم ثلاثة) أو (أي كي 47/الكلاشنكوف) ويمتطون الجمال أو الخيل التي زودتهم بها الحكومة⁸². يقال إن الحكومة دفعت لبعضهم حوالي 100 دولار أمريكي عند اندلاع القتال. ويأتي معظم التعويض الحالي للجنجويد من غنائم القتال. جذبت امكانات النهب المدعوم حكوميا بعض الأفراد من تشاد وجمهورية أفريقيا الوسطي إلي دارفور.

من الصعب جدا فك رموز تركيبة وقيادة الجنجويد ولكن ما يقال عنهم يساعد في إلقاء بعض الضوء على تنظيماتهم. أفاد بعض ممن تم التحاور معهم عن ثلاث أقسام مستقلة من الجنجويد أنشأتها الحكومة. القوة الضاربة ؛ حرس الحدود؛(وحامينا)⁸³.

⁷⁵ "مراسلون بلا حدود،" السودان: مراسلون بلا حدود يحتجون علي الاستيلاء علي معدات الجزيرة"، 18 ديسمبر 2003 متوفر علي

http://www.rsf.org/article.php3?id_article=8815

⁷⁶ وثقت منظمة العفو الدولية العديد من هذه الحالات

⁷⁷ منظمة العفو الدولية: (عمل طارئ: الخوف علي السلامة، السودان: د. مضوي إبراهيم آدم-مدير المنظمة السودانية للتنمية الاجتماعية(سودو)، 4 يناير 2004 والتي توضح كيف (يتم تعذيب الأشخاص المتهمين بمساندة التمرد المسلح في دارفور بصورة تكاد تكون منهجية من قبل قوات الأمن العام أو الإستخبارات العسكرية كما يتم تعذيب الباحثين عن المعلومات حول الإقليم أو من يدلون بها أيضا من قبل القوات الأمنية)

⁷⁸ مراسلات مجموعة الأزمات الدولية، 11 فبراير 2004 وبخاصة، د. مضوي متهم تحت المواد 50 و 51 و 56 و 63 و 64 من القانون الجنائي. تتعلق المواد 50 و 51 بتقويض الدستور أو وحدة الدولة وشن الحرب أو مساندة من يشنون الحرب ضد الدولة علي التوالي. منظمة العفو الدولية(معلومات اضافية حول العمل الطارئ 2 أبريل الخوف علي السلامة وجزع جديد: الخوف من محاكمة غير عادلة)، 19 فبراير 2004

⁷⁹ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 2 أكتوبر 2003.

⁸⁰ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 2 أكتوبر 2003

⁸¹ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، أكتوبر 2003 وصفت الحكومة في مجري النزاع الحالي من أطلق سراحهم بالتائبين فيما يبدو أنه محاولة لجعلهم متقبلين أكثر

كأعضاء في وحدات شبه عسكرية

⁸² مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 4 أكتوبر 2003

⁸³ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، أكتوبر 2003

لقد عكس الرئيس البشير بصورة أفضل طبيعة العلاقة بين الحكومة ووكلائها العديدين، بمن فيهم الجنجويد وفي تعليق له نشر صورة واسعة مخاطبا مواطني كلبس، التي فشل المتمردون في تدميرها في ديسمبر 2003 قال بتحدي: "إن أولويتنا منذ الآن فصاعدا هي تصفية التمرد وكل عنصر خارج علي القانون هو هدف لنا وسنستخدم الجيش والبوليس والمجاهدين والفرسان راكبي الخيول للقضاء علي التمرد"⁸⁴

يتعارض هذا التصريح بحدة مع الغموض الذي تتسم به في الغالب إفادات المسؤولين وأجهزة الإعلام التي تديرها الدولة عن الجنجويد. تنكر إفادات عديدة وبشدة أي علاقة للحكومة بالجنجويد ولكن حيث يواجه المسؤولين في ولايات دارفور الثلاثة تبعات تورط الجنجويد في القتال اعترف هؤلاء المسؤولون أحيانا بأن الحكومة خلقت في حقيقة الأمر الجنجويد مضيقين بأنه من المهم إخضاعهم لسيطرة محكمة وكمثال علي ذلك ذكر معتمد زالنجي بجنوب دارفور لصحيفة خرطومية يومية في نوفمبر:

"سلحت الحكومة هذه المجموعة لتحارب التمرد ولكن المجموعة اختارت أن تنفذ أجندتها القبلية الخاصة بمهاجمة مناطق الفور القبلية... إنهم يحرمون الناس من دفن موتاهم... تتلقى رئاسة الولاية بصورة دائمة تقارير عن غزوات وقصص من قبل المسلحين للناجين في القرى والأدغال المحيطة"⁸⁵

تحدث أجهزة الإعلام التي تديرها الدولة ومعظم المسؤولين بصورة روتينية عن أفعال الجنجويد بوصفها أعمال "عصابات نهب مسلح" أو "عناصر منفلة" وتنسبها أحيانا حطي لجيش تحرير السودان أو حركة العدل والمساواة. فعلى سبيل المثال ذكر الناطق باسم القوات المسلحة في إفادة له في 27 ديسمبر 2003 بأن حملة قام بها جيش تحرير السودان على مواقع الحكومة بمساندة "قوات الجنجويد التي تدعم التمرد."⁸⁶ ولكن عندما أصبح أثر حملات الجنجويد معروفا وخضعت استراتيجيات الحكومة لإخماد التمرد للتحقيق من قبل المجتمع الدولي بصورة متزايدة، ظهر خط سياسي يؤكد رسمياً على إنكار أي رابط للحكومة مع الجنجويد وعزمها على إخضاعهم للسيطرة.

اتهم تصريح لسفارة السودان بواشنطن في 21 يناير 2004 المتمردين بتبني استراتيجية مهاجمة "المراكز المدنية لخلق كارثة إنسانية بغرض لفت اهتمام واعتراف المجتمع الدولي" وأضاف التصريح "ولسوء الحظ فإن هذه التكتيكات تذكى من لهيب الحرب الإثنية في كامل إقليم دارفور وتشعل فتيل الانتقام والانتهاكات التي ترتكبها حالياً مجموعة أخرى من الخارجين على القانون تدعى الجنجويد التي نددت بها الحكومة وتسعى حالياً بجد لتجربتها من السلاح"⁸⁷.

دعي وزير الدفاع في مؤتمر صحفي في 28 يناير 2004 أجهزة الإعلام للتفريق بين "المتمردين"، "الجنجويد"، "قوات الدفاع الشعبي" و"المليشيات القبلية" مثال "مليشيات قبيلة الفور" والنهايين" من قبيلة الزغاوة وقال أن كل هذه المجموعات هي عصابات من المجرمين. وأضاف بأن قوات الدفاع الشعبي تتكون من متطوعين يعاونون القوات المسلحة ولكن الجنجويد "عصابات من قطاع الطرق" ليس للحكومة أي علاقة بهم البتة.⁸⁸

إقتفاء للخط السياسي الجديد وصف حاكم ولاية جنوب دارفور في مقابلة أجريت معه في يناير 2004 هيكلية المجموعات المسلحة بما يبدو في توافق مع ما يعرف عن الجنجويد والخطوات التي اتخذتها الولاية لإخضاع تلك المجموعة للسيطرة. ميز الوالي بين قوتين مسئولتين عن التدهور الأمني: "المتمردون" و "عصابات قطاع الطرق". ولمخاطبة المشكلة الأخيرة قال بأن الولاية شكلت لجنة من ثلاثة محافظين سافروا إلي مخابئ "قطاع الطرق" واكتشفت اللجنة بأنهم حسنو التنظيم ولهم "هيكلية قيادة مرتبة هرمياً" وقسم "قطاع الطرق" المناطق الملازمة للسرقة وخصصوا لكل قائد منطقة يمارس فيها النهب.

⁸⁴ "الرئيس السوداني يقول أن الحرب علي الخارجين عن القانون أولوية الحكومة" اسوشيتد برس، 31 ديسمبر 2003

⁸⁵ "معتمد زالنجي يحث الحكومة المركزية لتساعد"، بالعربية، أخبار اليوم، 9 نوفمبر 2003. أنظر أيضا "قتل 88 ونزوح 60 ألفا واختطاف 3 مسؤولين في دارفور،

بالعربية، البيان، 10 نوفمبر 2003

⁸⁶ صحيفة الدعوة، 27 ديسمبر 2003

⁸⁷ "دارفور انتشار النزاع المسلح في أفريقيا"، نشرة صحفية، سفارة جمهورية السودان، واشنطن دي سي علي الموقع

www.sudan.net

⁸⁸ "وزير الدفاع يجتمع بالإعلام..."، بالعربية، الدعوة، 29 ديسمبر 2003

"استطاعت اللجنة أن تقنع العديد من أفراد هذه الجماعات المسلحة بالتوبة والعودة لحيواتهم الطبيعية ووعدهم بأن الدولة ستوفر لهم كل احتياجاتهم. نتيجة لذلك تاب 450 من أولئك القادة وبتنا مع مشكلة التهم الجنائية التي ظلت مؤجلة في مواجهتهم". رفعت الولاية الأمر إلى وزير العدل بالخرطوم والذي وافق على إسقاط بعض الإجراءات ولكن هناك أخرى تجيء تحت صلاحية رئيس الجمهورية ولكن لا يمكن إسقاطها. وعد الوزير برفع الأمر لرئاسة الجمهورية⁸⁹.

بغض النظر عن الإنكار والغموض المتعمدين، تصور شهادات الضحايا بثبات تنسيقاً وثيقاً في الغزوات بين قوات الأمن الحكومية بما في ذلك الجيش والجنجويد خلال الهجمات علي قراها، وفي حادثة وقعت مؤخراً أبلغت مجموعة عمل الأمم المتحدة بدارفور عن هجوم "حسن التنظيم" على مدينة طويلة بولاية شمال دارفور في 27 فبراير 2004 قتل خلالها الجنجويد والجيش على الأقل 67 شخصاً، اختطفوا 16 من طالبات المدارس واغتصبوا 93 فتاة أخرى من بينهن 6 اغتصبن أمام أعين عائلاتهن⁹⁰. وفقاً للتقارير فقد وسم الجنجويد من قاموا باغتصابهن على أيديهن حتى يتركوا على أجسادهن علامة لا تزول وينبذن بالتالي من المجتمع. أفرغ الهجوم المدينة من ساكنيها إذ اختبأ الآلاف بالدغل والتمس خمسة آلاف شخص على الأقل النجاة في عاصمة الولاية القريية، الفاشر. حدث فرار مماثل جسيم في أعقاب هجوم للمليشيا في 21 مارس علي بلدة كورما في شمال دارفور. أخبر شاهد عيان مراسلا "قتل الجنجويد 49 شخصاً ممن اتهمهم الجنجويد بالعمل مع المتمردين... وأحرقوا منطقتين سكنيتين تقطنهما بصورة أساسية قبائل أفريقية وأحرقوا أيضاً 4 من القرى المحيطة"⁹¹.

شرح واحد ممن زاروا الإقليم مؤخراً لمجموعة الأزمات الدولية نمطاً من هجمات الجنجويد على القرى يسنده قصف حكومي وتعقبه في الغالب فرق حكومية نظامية:

"يبنى أساس منازل قرى الفور من الحجر أو الأسمنت والأسقف من سيقان الذرة. يأتي الجنجويد ويحرقوا الأسقف عندها يقصف الجيش القرى مدمراً معظم الأساس الحجري. كانت تلك محاولات لتجفيف القاعدة السكانية المؤيدة للمتمردين وتنظيف المنطقة من السكان. وكل قرية رأيتها على مدى 150 كلم من الحدود التشادية كانت محروقة كلياً أو جزئياً"⁹².

تساند تقارير الوكالات العالمية هذه الخلاصة. كانت المقابلات التي أوردتها تقرير لمنظمة العفو الدولية مؤخراً مع الناجين من هجمات الجنجويد صاعقة. ذكر أحد المدنيين أن الجنجويد خاطبوه قائلين: "أنتم أعداء للنظام، يجب أن نسحقكم. بما أنكم سود فأنتم كالعبيد. عندها سيصبح إقليم دارفور بكامله في أيدينا. الحكومة إلى جانبنا. طائراتها معنا تقدم لنا الذخيرة والغذاء"⁹³. أجرت منظمة العفو العديد من المقابلات التي تصور عمليات مشتركة بين الجنود والجنجويد وخلصت إلى: "هذه (الإفادات)... تشير إلى استراتيجية عسكرية من جانب الجنجويد بسند من جيش الحكومة لتهجر إجبارياً السكان المستقرين في دارفور"⁹⁴.

وجهت مزاعم بصورة ثابتة بواسطة مراقبين عالميين وسودانيين في اجتماعات مع مجموعة الأزمات الدولية إلى أعضاء بعينهم في الحكومة بالنورط المباشر، المساندة والتنسيق مع الجنجويد بالرغم من أنه لا يوجد إلا القليل من الأدلة القاطعة التي تربط أولئك الأفراد بتلك المجموعة⁹⁵.

⁸⁹ أنظر "والي جنوب دارفور: تتأثر ثلاثة محافظات فقط بالتمرد"، المواطنون مجمعون غلي إدانة الخارجين علي القانون"، بالعربية الرأي العام، 26 يناير 2004

⁹⁰ أنظر "أزمة دارفور، السودان: تقرير مجموعة عمل الأمم المتحدة حول الموقف في دارفور، مكتب منق الأمم المتحدة المقيم علي

<http://www.reliefweb.int/w/rwb.nsf/480fa8736b88bbc3c12564f6004c8ad5/632f6fcc7fbbfe985256e4d707eb0?OpenDocument>
أيضاً: "السودان: تقارير عن عنف أكثر في دارفور" إيرين، 5 مارس 2004، تفاصيل حادث الاغتصاب من إتحاد طلاب دارفور بالجامعات، "تصريح للشعب السوداني حول الاستيلاء علي منطقة طويلة وما جاورها من قبل قوات الحكومة ومليشيات الجنجويد"، مراسلات مجموعة الأزمات الدولية الإلكترونية

⁹¹ "السكان يهربون من هجوم للمليشيا علي بلدة بغرب السودان"، رويترز، 21 مارس 2004

⁹² مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، نيروبي، 27 يناير 2004

⁹³ منظمة العفو الدولية، "السودان: دارفور: كثيرون قتلوا دونما سبب"، 3 فبراير 2004

⁹⁴ نفس المصدر

⁹⁵ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، أكتوبر 2003-يناير 2004

حاول مناصرو دارفور بإلحاح إثارة قضية مسؤولية الحكومة القانونية عن أعمال الجنجويد فعلى سبيل المثال سلمت لجنة من محامي دارفور مذكرة إلى وزير العدل في 17 أغسطس 2003 مطالبة بتحقيق شامل في الجرائم ضد الإنسانية التي يزعم بأن الجنجويد قد ارتكبوها في مدينة كتم في وقت سابق من ذلك الشهر في أعقاب احتلال وجيز للمدينة من قبل جيش تحرير السودان، سيطر الجنجويد على المدينة لثلاث أيام قاموا خلالها، كما ذكر، بنهب السوق وحرقتهم له ولمساكن زعماء القبائل الأفريقية التقليدية وقتلوا من وجدهم منهم وعرضوا أفراد أسرهم لمعاملة قاسية ومحطة للكرامة⁹⁶. وصفت المذكرة الجنجويد بأنهم "قوة سلحتها ودربتها الحكومة" واتهمت المذكرة بعض الدار فوريين ممن يشغلون مناصب تنفيذية ومسؤولين حزبيين آخرين بأنهم وراء تلك الأعمال بحكم سيطرتهم على الجنجويد مطالبة بأن يمثلوا لتحقيق قضائي⁹⁷.

قدمت مجموعة من محامي دارفور مقيمة في لندن في 20 يناير 2004 قائمة اتهامات ضد أعضاء رفيعين في إدارة الخرطوم لما سمي بدورهم القيادي في نمط الجرائم ضد الإنسانية في دارفور التي ارتكبتها قوات الحكومة وقوات تحارب نيابة عنها بمن فيها الجنجويد معللة بأن السودان على الأثر لا يوجد فيه حكم للقانون مؤكدة أن عبء المحاكمة يقع على المجتمع الدولي⁹⁸.

ج- المتمردين

ظهر الحبل الأخير من متمردي دارفور في فبراير 2003 كرد فعل لفشل الحكومة والقيادات التقليدية في مخاطبة مشاكل الإقليم. كما وثق سابقاً في تقارير مجموعة الأزمات الدولية قدم جيش تحرير السودان خطة سياسية تشابه إلى حد مدهل خطة الجيش الشعبي لتحرير السودان تندد بالتهميش السياسي والاقتصادي والتخلف التنموي وتطالب بفصل الدين عن الدولة. ظهرت بعد ذلك بوقت قصير حركة العدل والمساواة برسالة سياسية مماثلة ولكن بخلفية يشوبها الإبهام حول الدين وتمتاز بشائعات عن روابط مع الترابي والدوائر الإسلامية.

استمد جيش تحرير السودان مجنديه الأوائل من مليشيات الفور للدفاع عن النفس التي ظهرت خلال صراع 87 - 1989⁹⁹. تزامن ظهور مجموعة مكونة بدرجة كبيرة من محاربي الفور والمساليت في 2001 في جنوب وغرب دارفور مع قرار رجال الزغاوة الأصغر سناً بالتمرد على الحكومة. لم يكن متمرّدو الزغاوة سعيدين بعجز الحكومة إنفاذ شروط اتفاقية سلام قبلية تطالب الرعاة من الأصول العربية بدفع دية عن مقتل عشرات الزغاوة ومن بينهم زعماء قبيلة بارزين.

خرج جيش تحرير السودان من هذا التعاون المتزايد بين مجموعات الفور، المساليت والزغاوة الشئ الذي يفسر التكوين الجغرافي والإثني للتمرد إذ نجد مجموعة من جنوب دارفور يغلب عليها الفور والمساليت وتتركز في منطقة جبل مرة الواقعة في ولايتي جنوب وغرب دارفور بينما تتمركز جل القوات التي يسودها الزغاوة والميدوب في شمال دارفور. ويضم جيش تحرير السودان أيضاً محاربين من قبائل دارفور المختلفة وفقاً لمصادر سافرت إلى مواقع ذلك الجيش. يغلب في أوساط مؤسسي جيش تحرير السودان خريجون شباب وطائفة ممن تركوا المدارس. يستمر المجندون الجدد من بين هذه القواعد في الهجرة من العاصمة والمراكز الحضرية الأخرى إلى مناطق التمرد. عمل الكثيرون من هذه الكوادر بمهن هامشية وتجارة زهيدة في الأسواق المحلية في الخرطوم والمراكز الحضرية الأخرى في وسط وغرب

⁹⁶ مراسلات مجموعة الأزمات الدولية الإلكترونية، أغسطس 2003

⁹⁷ "الحزب الحاكم ينفي تسليح الحكومة لقبائل معينة في دارفور"، مذكرة المحامين إلى وزير العدل، بالعربية، الأيام، 18 أغسطس 2003

⁹⁸ وعدت مجموعة المحامين بتقديم دليل على أن الخرطوم تستخف ببنود معاهدة جنيف حول التعذيب، الإبادة الجماعية والتحرّيش عليها وقالت بأن هدفها اتخاذ إجراءات جنائية إما أمام المحكمة الجنائية الدولية أو محاكم وطنية في بلدان يعينها من أعضاء الاتحاد الأوروبي. يضم المتهمون: الرئيس البشير ونائبه طه، مستشار الرئيس لشئون الحكم الفيدرالي ومدير الأمن السابق نافع علي نافع، وزراء الطاقة، الدفاع وشئون الرئاسة وهم علي التتالي عوض الجاز، بكري حسن صالح وعبدالله صافي النور وبعض المسؤولين الكبار الحاج عطا المنان وأحمد محمد هرون. أنظر "مؤتمر صحفي ناجح لمحامي دارفور"، 27 يناير 2004 بالعربية، تقرير إخباري على الموقع:

www.sudaneseonline.com/aneews/jan-21-66584.html

⁹⁹ تمكنت مليشيات الفور من أن تعد كماناً للأطراف الغازية وتقوم بالهجوم على معسكرات الرعاة. قبلت مليشيات الفور أن تضع سلاحها وفقاً لبنود اتفاقية صلح 1989 القبلية. بالرغم من تلك الاتفاقية ظلت الهجمات تستهدفهم دون توقف فظهرت مليشيات الفور ثانية لتسهم في الصراع بين المجموعات والذي لم يكن كثيفاً حني اندلاع التمرد الحالي

السودان. وتأثرت أفكارهم السياسية إلى حد كبير بالأحزاب السودانية ومن بينها فصيلي الجبهة الإسلامية المتصارعين والشيوعيين. معروف أيضاً أن جيلاً ناشئاً من أعضاء الأحزاب التقليدية الأمة والاتحادي الديمقراطي من الدارفوريين قد ثاروا بالتمرد وراق لهم.

لم يفتن المحللون ولا الحكومة إلى الجيل الذي تنتمي إليه المجموعة الأساسية في حركة التمرد. استمرت الحكومة في تحريك قادة القبائل التقليديين في بحثها عن طرق تستخدمها لتضعف من التمرد ولكن يبدو أن المتمردين الشباب ليس لديهم ثقة في تلك الزعامات فقاموا في أحيان باختطافهم، أو مهاجمتهم أو طردهم من مناطق سيطرتهم وهم يعتبرون أن الحكومات المتعاقبة قد استخدمت تلك الزعامات لضمان استمرار سيادة نخبة الشمال والوسط والإبقاء على تهميش دارفور وغيرها من الأقاليم الطرفية.

تكمّن قوة جيش تحرير السودان الأساسية في مزاجته بين مظالم ومطالب المجموعات المتنوعة التي انضمت إليه وفي نيّله ثقة السكان المدنيين. وبالرغم من ذلك سريعاً ما بدأت الفجوات تظهر بين الزغاوة من جهة وفروع الحركة الشابة من الفور والمساليت من الجهة الأخرى. أقام المتمرّدون نمطاً تمثل في مهاجمة الأهداف الأمنية الحكومية والمستخدمين الحكوميين ولكن التقارير الحديثة تشير إلى نهب المدنيين واختطافهم ومهاجمتهم مما يشير إلى تدهور محتمل في الانضباط¹⁰⁰.

إن السرعة التي تلاحقت بها الأحداث خلال العام المنصرم قد تركت سياسات التمرد السياسية تلهث وراء تطوّرهم العسكري. فهم يفتقدون ببساطة إلى الموارد والخبرة والوقت ليشرحوا قضيتهم للسكان. ينتقد جيش تحرير السودان لأن المتحدثين باسمه لا يعكسون تعدد الجيش الإثني الشئ الذي ساعد بدوره الحكومة في دق إسفين بين القواعد الأثنية المعرض للتمرد.

أظهرت الانتصارات المفاجئة لجيش تحرير السودان في الأشهر الأولى جديته للعالم وفي غمرة لهفته للمواكبة سرعان ما ظهر سياسيو دارفور في المنفى كلسان حال للمتمردين الجدد وهم يفكرون في أن ينالوا بعضاً من فضل النجاح. أصبح حرير شريف من التحالف السوداني الفدرالي الديمقراطي ممثلاً لجيش التحرير في أوروبا وظهر بعد ذلك بوقت قصير د. خليل إبراهيم الإسلاموي المحنك وأحد الزملاء السابقين للترابي رئيساً لحركة العدل والمساواة.

قوبلت مزاعم د. خليل التي تقول بأن الهجوم على الفاشر في إبريل 2003 كانت بمساهمة مشتركة بين حركة العدل والمساواة وجيش تحرير السودان، في البدء، بسخرية من قبل قواد جيش تحرير السودان. وبالرغم من ذلك فإن حركة العدل والمساواة أكدت نفسها كحركة مستقلة لها أجندتها الخاصة. اكتسبت الحركة التي تقوم أساساً على الزغاوة الكثير من الزخم بعد أن وقع جيش تحرير السودان والحكومة اتفاقاً لوقف إطلاق النار في أيشي في سبتمبر 2003 وبمواصلة حركة العدل والمساواة لحربها على الجنجويد والحكومة انضم عدد متزايد من مقاتلي جيش تحرير السودان من الذين لم يرضهم ذلك الاتفاق وبخاصة مع استمرار الجنجويد في الهجوم على المدنيين إلى حركة العدل والمساواة. عزز إنقاذ الحركة للعاملين الدوليين في العون الإنساني من موقفها¹⁰¹.

فيما عدا تصريحات قليلة لد. خليل فإن الغموض يلف أهداف حركة العدل والمساواة السياسية. شرح د. خليل في مقابلة مبكرة مع مجموعة الأزمات الدولية بأن الحركة تقف من أجل سودان فدرالي موحد يقوم على العدل والمساواة وحماية حقوق الإنسان¹⁰². وأضاف لاحقاً بأن حركة العدل والمساواة تسعى لتوزيع عادل للموارد الشئ الذي يتطلب إعادة لاقتسام السلطة في الخرطوم. صرح د. خليل في مطمح للوصول إلى اتفاقية مع هذه الحكومة بأن "التعايش معاً أمر ممكن" إذا أدخل الحكم المحلي وأعطى السكان فرصة المشاركة في السياسة والاقتصاد¹⁰³.

¹⁰⁰ منظمة العفو الدولية، "السودان: يجب علي المجتمع الدولي أن يعمل الآن لحماية المدنيين"، نشرة صحفية، 17 فبراير 2004

¹⁰¹ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 27 يناير 2004

¹⁰² مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، ألمانيا، 3 مايو 2003

¹⁰³ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، بروكسل، 15 يناير 2004

تبدو أهداف كل من جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة متشابهة إلى حد كبير في وجه عدو مشترك وقد تعزز التعاون بينهما حتى أن المحادثات بينهما قد تناولت دمجاً محتملاً. يشارك جيش تحرير السودان في الوساطة التشادية التي ترفضها حركة العدل والمساواة ويزعم الأول بأنه دنيوي وللثاني روابط مع دوائر إسلامية ومع الترابي غير أن هذه الخلافات قد تم تجاوزها في الوقت الراهن لتتبع السير نحو هدف مشترك. وبالرغم من تجاوز الخلافات بين حركة العدل والمساواة وفرع الزغاوة في جيش تحرير السودان إلا أنها تبدو في تزايد بين عناصر الزغاوة والفور والمساليت داخل جيش تحرير السودان¹⁰⁴.

د- علاقات الجيش الشعبي لتحرير السودان بدارفور

ترتبط مصادر متعددة الجيش الشعبي لتحرير السودان ببداية تمرد جيش تحرير السودان وبمده بالسلح وتزويده بالتدريب والاستراتيجية¹⁰⁵. ويزعم بأنه درب ما يقارب 1500 دارفوري بالقرب من راجا في غرب بحر الغزال في مارس 2002¹⁰⁶. انضمت فيما يبدو هذه المفزة كلياً أو جزئياً إلى جيش تحرير السودان عقب تكوينها بفترة وجيزة. أخبر أن ناشطي دارفور في المنفى وقادة الجيش الشعبي لتحرير السودان قد ساعدوا في تحرير نسخة مبكرة من إعلان جيش تحرير السودان السياسي صدرت في 13 مارس 2003 بعد شهر من مولده كـ "جبهة تحرير دارفور"¹⁰⁷. بالرغم من أن جل إمدادات المتمردين، فيما يبدو، تأتي عبر تشاد إلا أن الشائعات تصر على وجود رحلات جوية مفترضة للجيش الشعبي لتحرير السودان من نيروبي ويوغندا¹⁰⁸.

بما أن الجيش الشعبي كما يبدو يتحمل بعض المسؤولية في بدء التمرد فقد يكون بمقدوره أن يساعد في حل أزمة دارفور. ظل الجيش الشعبي يساند في العلن قضية التمرد وقال بوضوح أنه لن يحارب ضد المتمردين بعد أن يوقع اتفاقية سلام مع الحكومة. يقترح بعض أعضاء الجيش الشعبي أن نماذج الحكم التي تم الاتفاق عليها بالنسبة لجبال النوبة وجنوبي النيل الأزرق يمكن تطبيقها في دارفور¹⁰⁹. ولكن الحكومة تلوح بفكره حل أزمة دارفور بعد اتفاقية الايقاد وان عروض المساعدة التي يقدمها الجيش الشعبي في دارفور تنزل علي آذان صماء.

يريد البعض في الجيش الشعبي عمل طارئاً في دارفور قال أحد قادته الكبار "يجب إن يصبح المجتمع الدولي أكثر مشاركته في دارفور" "يجب إن تحقق محكمة الجنايات الدولية في مزاعم جرائم الحرب يحتاج هؤلاء الناس إلي العدالة حتي لو هددت هذه العدالة عملية الايقاد"¹¹⁰.

4. عملية أبشي

العلاقات الدارفورية التشادية

اكتسبت عملية الايقاد مصداقية وزخماً فقط بعد أن قامت دول الايقاد وشركائها العالميين باستثمار معتبر علي صعيدي الإدارة السياسية والتمويل. وفي المقابل لاقى التوسط التشادي كثيراً من اللامبالاة حتي عندما تصاعد الصراع في دارفور.

تاريخياً مكن وجود العديد من القبائل علي جانبي الحدود سياسيو تشاد المنشقين والجماعات الإثنية المقهورة من العثور علي ملجأ في دارفور. فقد بدأ ثلاثة رؤساء متعاقبين بمن فيهم الرئيس المنصب الآن إدريس دبي محاولاتهم للاستيلاء علي السلطة بمليشيات أثنية تمركزت جزئياً في دارفور. علي ذات المسار مارس الزغاوة التشاديون ضغوطاً ذات شأن

¹⁰⁴ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 27 يناير 2004

¹⁰⁵ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 2003-2004

¹⁰⁶ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 27 مايو 2003 - لا يزال قواد آخرون من الجيش الشعبي لتحرير السودان ينكرون ذلك

¹⁰⁷ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 2003، إعلان جيش تحرير السودان السياسي 13 مارس 2003 متوفر علي الموقع

<http://www.sudan.net/news/press/press.shtml>

¹⁰⁸ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، 2003-2004

¹⁰⁹ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، نيفاشا، 13 يناير 2004

¹¹⁰ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، نيروبي، 30 يناير 2004

علي دبي لكي لا يعمل بتعهداته لمساعدة حملة الخرطوم لإخماد التمرد بالرغم من أن الحكومة السودانية ساعدته في الوصول إلي منصبه ولها تأثيرها الكبير علي جهازه الأمني¹¹¹.

حارب العديد من قادة جيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة في تشاد مع أقربائهم الإثنيين ورجعوا للسودان للدفاع عن شعوبهم ضد ما رأوا بأنها هجمات تستهدف بعض المجموعات علي أساس إثني وبرغم الهامش الضئيل المتاح لدبي فيما يتعلق بقدرته على المناورة في وجه الضغوط التي تمارس عليه من الخرطوم والمتمردين لنيل سنده فلا يزال يتمتع ببعض الاحترام من الجانبين. وبالرغم من هذا فقد بدأ دبي متعثراً محتاراً في الجولات الأولى لعملية أيشي. استمر رسمياً في تقديم الدعم للخرطوم ولكن الزغاوة من حوله بما في ذلك الزغاوة داخل الحرس الجمهوري كانوا يمدون المتمردين بالسلاح من خلال الجيش التشادي¹¹².

ب- اتفاقية وقف إطلاق النار

عقد الرئيس دبي مستخدماً صلاته الشخصية مع زعماء الزغاوة المنضويين تحت لواء جيش تحرير السودان اجتماعاً بين حكومة الخرطوم والمجموعة المتمردة في مدينة أيشي على الحدود التشادية في أواخر أغسطس 2003. قاد هذا الاجتماع إلى عقد اتفاقية لوقف إطلاق النار في 3 سبتمبر التي افترضت 45 يوماً من وقف العدائيات. رفضت حركة العدل والمساواة المحادثات لأنها اعتبرت الوسيط التشادي متحيزاً للخرطوم. ألزمت الاتفاقية الأطراف بوقف إطلاق النار بدءاً من 6 سبتمبر، السيطرة على المجموعات المسلحة غير النظامية في مساح العمليات؛ إطلاق سراح أسرى الحرب والموقوفين؛ تجميع قوات جيش تحرير السودان و"الانسحاب" المتزامن "للمجموعات المسلحة" مع إقامة لجنة ثلاثية (الخرطوم، تشاد وجيش تحرير السودان) لمراقبة التنفيذ¹¹³.

أعطت الاتفاقية تنازلاً وحيداً لمطالب التمرد السياسية، جاء في الاتفاق المبهم في المادة الخامسة بضرورة التزام الطرفين "بإرساء دعائم السلام الدائم والشامل في المنطقة من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية". كانت الترتيبات الأمنية التي تقول بتجميع قوات جيش التحرير وتجريد المتمردين من السلاح مقابل انسحاب المجموعات المسلحة غير النظامية تحابي الخرطوم الشيء الذي دفع مسئول سابق لנعت الصفقة بأنها "معاهدة استسلام"¹¹⁴.

تعتبر المادة السابعة حول الأمن الأكثر تفصيلاً ولكنها مبهمة بدرجة تكفي للتفسيرات المتعارضة. "السيطرة على المجموعات المسلحة غير النظامية" التي قصد لها أن تغطي الجنجويد، اشترطت ذلك كالتزام مشترك برغم أن الحكومة فقط تمتلك روابط مع هذه المجموعات. لا تلزم الاتفاقية الحكومة بتجريد وكلائها من السلاح وفشلت أيضاً في أن تذكر الموقف الإنساني الأساسي على الأرض وفي إلزام الأطراف لتيسير وصول العون الإنساني وهو إسقاط يبدو أنه يدل على عدم إحساس متبادل لمعاناة الضحايا المدنيين.

أخبرت مصادر قريبة من جيش تحرير السودان مجموعة الأزمات الدولية بأن الحركة قبلت شروط الاتفاق برغم عدم محاباتها الواضحة لهم من منطلق عدم خبرتهم السياسية وذكروا بأن الاعتراضات على المادة السابعة قد أسقطت بعد أن وعد الوسطاء باستلام أجندة المتمردين السياسية كملحق واستمالة الخرطوم لمناقشتها في الجولات اللاحقة¹¹⁵. إن تدفق الأشخاص النازحين داخلياً إلى المناطق التي يسيطر عليها جيش تحرير السودان وافئقار الأخير إلى الموارد لمواكبة الكارثة التي نتجت عن هجوم الجنجويد كانا أيضاً عنصراً في قرار الحركة بالبحث عن وقف لإطلاق النار.

¹¹¹ نفس المصدر

¹¹² مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير 2004

نص الاتفاقية بالعربية أنظر "نص اتفاقية وقف إطلاق النار بين الحكومة السودانية وجيش تحرير السودان في دارفور، الشرق الأوسط، 5 سبتمبر 2003. لترجمة غير

¹¹³ رسمية أنظر الملحق 6 أدناه

¹¹⁴ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، فبراير 2004

¹¹⁵ مقابلات مجموعة الأزمات الدولية، نيروبي، 23 يناير 2003 توقع جيش تحرير السودان إيداع أجندته السياسية عند استئناف محادثات أيشي عقب انتهاء الهدنة في أواخر أكتوبر 2003. بالرغم من ذلك ولأسباب يتعين توضيحها يبدو أنه لم يجهز ملاحق الاتفاقية التي تحوي أجندته السياسية في الوقت المحدد لإيداعها لدي الوسيط التشادي. قدم جيش التحرير في معرض ملاحظاته الافتتاحية بعض مطالبه بصورة شروط مسبقة موضوعية للتفاوض مع الحكومة كما وصف أدناه

في المقابل كان معسكر الحكومة جزلاً. أرضت الترتيبات الأمنية نظرته إلى الأزمة كمسألة أمن داخلي مفرغة من المحتوى السياسي ولا تسمح بحيز لتدخل خارجي يتعدى تقديم إمدادات الغوث للضحايا المدنيين. ذكر الطيب إبراهيم محمد خير المستشار الأمني للرئيس البشير والحاكم السابق لدار فور الذي يعتقد بأنه المسؤول الأول عن سياسات الحكومة حول دارفور في مؤتمر صحفي في 7 سبتمبر أن أيشي "كانت اتفاقية سلام وليست وقفا لإطلاق نار" وهي لا تحوي أي أهداف سياسية أو خلافات" و "أن من يحملون السلاح أنكروا أي علاقة بالسياسيين في المنفى الذين قاموا بالاستفادة منهم"¹¹⁶.

واعيا بضعف موقفه وهزالة الاتفاق الذي تفاوض حوله، دعا جيش تحرير السودان المتعاطفين معه من مثقفي دارفور في الداخل والخارج للتشاور في "كورني" الواقعة تحت سيطرتهم. أملا في استخلاص الدروس من مفاوضات سبتمبر وفي استخدام خبرة المثقفين في ترقية أجندة الحركة السياسية للجولات المقبلة من عملية التفاوض¹¹⁷. أعاقبت الحكومة بشراة ذلك الاجتماع وطردت تشاد، امتثالا لالتماس من الخرطوم، العديد من قادة المنفى الذين وصلوا إلى انجمينا في طريقهم إلى كورني¹¹⁸.

بالرغم من ذلك انعقد اجتماع جيش تحرير السودان في الفترة من 11 إلى 14 أكتوبر 2003 في قار سيلا إلى الجنوب من كورني بعد أن تغلب العديد من المدعويين من داخل وخارج السودان على العقوبات اللوجستية والأمنية للوصول إلى المكان¹¹⁹. ضم الحضور كوادر المتمرد، ووفود القبائل و "الإدارة الأهلية" ومثقفين زوار. كان غرض الاجتماع وفقاً لبيانه الختامي "تحضير أجندة للمفاوضات مع نظام الخرطوم بنهاية الهدنة التي تم الاتفاق عليها خلال توسط سيادة الرئيس إدريس دبي" صادق الاجتماع على حوار لتحقيق "حلول سياسية للقضايا الخلافية في السودان" وندد بنظام الخرطوم لعدم التزامه بنصوص الهدنة وبخاصة في مجالات إعادة نشر القوات، وحظر تقديم العون الإنساني، وهجمات الجنويد المتكررة والقصف الجوي ضد القرى والمدنيين العزل¹²⁰.

اتفق الاجتماع على قضايا ذات مدى سياسي عريض ومما يستحق الذكر أن جيش تحرير السودان "التمس من أهل المناطق المهمشة الانضمام إلى ومساندة جيش تحرير السودان في جهوده لبناء سودان جديد يقوم على العدل، الديمقراطية والمساواة". ولمخاطبة الطبيعة الإثنية المتنامية للصراع دعت أهل دارفور "العرب وغير العرب للعيش سوياً في سلام والعمل من أجل مصالحهم المشتركة والتقدم الاجتماعي" وعبر عن اهتمامه بالحوار مع القوى السياسية السودانية حتى يتم الوصول إلى وفاق حول بناء سودان يقوم على العدل، الشفافية، الحكم الراشد، احترام حقوق الإنسان، التعددية والجمعية في السودان" وأخيراً دعا المؤتمر لإشراك "الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي ومنظمة الوحدة الأفريقية كمراقبين لعملية التفاوض"¹²¹.

يعكس المفهوم السياسي الذي ظهر نفوذ الجيش الشعبي لتحرير السودان وتحديدًا إيدولوجيته حول السودان الجديد. من المحتمل أن تحمل هذه الإيدولوجية الخرطوم على أن تكون أكثر مقاومة للتورط في محادثات سياسية مع تمرد دارفور إذ أنها ترغب في تجنب أن تمتد إلى ذلك الإقليم المساومات التي قدمتها تحت الضغوط لغريمها الرئيسي في مفاوضات الإيقاد.

قال اللواء عبد الكريم عبد الله القائد الاستخباراتي الرفيع ورئيس الوفد الحكومي لمتابعة اجتماع ديسمبر 2003 مع جيش تحرير السودان تحت الوساطة التشادية (انظر أدناه) للصحف "أحبطت الحكومة الاجتماع الاستشاري الأول الذي

¹¹⁶مستشار الرئيس للسلام: الاتفاق مع جيش تحرير السودان وليس اتفاقاً لوقف إطلاق نار"، باللغة العربية، تم الإطلاع عليه في 9 سبتمبر في موقع مركز السودان للإعلام الذي تسيطر عليه الحكومة، www.Smcsudan.net

¹¹⁷ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع الجيش الشعبي لتحرير السودان، نوفمبر/ديسمبر 2003

¹¹⁸ "السلطات السودانية تمنع الدكتور حرير و 35 آخرين من دخول تشاد أثناء المفاوضات"، باللغة العربية، صحيفة أخبار اليوم اليومية، 8 نوفمبر 2003. أكد الدكتور حرير نائب رئيس التحالف الفدرالي ونائب الأمين العام للجمع الوطني الديمقراطي ذلك لمجموعة الأزمات الدولية في مقابلة أجرتها معه في نيروبي في 23 أكتوبر 2003

¹¹⁹ مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية مع الجيش الشعبي لتحرير السودان، ديسمبر 2003

¹²⁰ "البيان الختامي لمؤتمر قارسيليا الاستشاري المعني بتحضير جدول أعمال المفاوضات مع حكومة الخرطوم"، 11 أكتوبر 2003، ترجمة غير رسمية موجودة بملفات مجموعة الأزمات الدولية.

¹²¹ نفس المصدر

خطط له المتمرّدون ولكنهم عقدوه في مكان آخر" وقارن الوثيقة الختامية بـ "منشور لقيام دولة¹²²". ستحاول الخرطوم الاستمرار في تجنب مثل هذه المواضيع وإبقاء المحادثات مع جيش تحرير السودان مركزة في نطاق ضيق يقتصر على تنفيذ الرتبّيات الأمنية في اتفاقية سبتمبر 2003 وتحديدًا وقف إطلاق النار، تجميع قوى التمرد وتجريدها من السلاح.

ج- متابعة التفاوض

اجتمع ممثلو الحكومة مع وفد من جيش التحرير أيشي لمواصلة المحادثات في الفترة من 26 أكتوبر إلى 4 نوفمبر 2-3 بحضور الوسيط التشادي ولكنها سرعان ما توقفت بتبادل الطرفين الاتهامات بخرق وقف إطلاق النار. ربط المتمرّدون مشاركتهم الموضوعية بتبني برتوكولات لحماية المدنيين يتم رصدها دوليًا والوصول غير المعاق لإمدادات الإغاثة والعاملين إلى المناطق التي يسيطرون عليها؛ وتجريد الجنجويد من السلاح؛ وحضور مراقبين دوليين للمفاوضات. مع إصرار جيش التحرير على استعادة النقاط التي فقدتها في سبتمبر وعدم رغبة الحكومة في تدويل عملية أيشي، كان جل ما يمكن القيام به هو تجديد وقف إطلاق النار لشهر آخر والتعبير عن المزيد من الثقة باللجنة الثلاثية¹²³.

أكدت النتائج المتواضعة أن للطرفين تفسيرات مختلفة بشأن الملاحق التي اشترطت المادة السابعة لاتفاقية سبتمبر وضعها والاتفاق عليها لضبط التنفيذ. توقعت الحكومة أن يقوم جيش التحرير بتجميع قواته بمواقع محددة في غضون خمسة عشر يومًا من توقيع تلك الوثيقة وأن يقوم بتجريدها من السلاح بنهاية فترة الخمسة وأربعين يومًا التي حددت لوقف إطلاق النار. رفض جيش التحرير ذلك وأصر على أن تستجيب الحكومة أولاً لمطالبه السياسية وأن تجرد الجنجويد من سلاحهم. نسبة لأن جيش التحرير لم يقدم اقتراحًا رسميًا بهذه المطالب فقد اتفق الطرفان في تصريحهما المشترك الصادر في 4 نوفمبر على تحميل جيش التحرير مسؤولية هذا التأخير وإمهاله فرصة شهر آخر للاتيان بملاحق المادة السابعة.

يبدو أن الوسيط التشادي اقترح للتغلب على الوثائق الغائبة، "مشروعًا لاتفاقية نهائية حول الملاحق بين حكومة السودان وجيش تحرير السودان" في محادثات أكتوبر/نوفمبر وعرض ما اعتبره جيش التحرير امتيازًا لا يؤبه لها: عفو عام عن من يتم تسريحهم من المقاتلين والتزام الحكومة باستيعابهم في الجيش أو الخدمة العامة في مقابل التزام جيش التحرير بتجميع قواته وتجريدها من السلاح. كان مقترح الوسيط سيطلب من الحكومة صراحة أن تجرد القوات غير النظامية التي تعرف بالجنجويد وكل الزمر الأخرى التي ترتكب جرائم ضد المدنيين العزل من السلاح وأن تعمل على استتباب الأمن في الإقليم وأُعترف بأجندة جيش التحرير السياسية بعبارة فضفاضة تدعو فيها الحكومة إلى إعداد "برنامج عاجل لإعادة التأهيل والتنمية الاقتصادية والاجتماعية بدارفور". ظل مقترح الوسيط عامًا في مطالبته الأطراف بتأمين الوصول غير المعاق لمنظمات الإغاثة الوطنية والعالمية¹²⁴. نبه مكتب الأمم المتحدة بالخرطوم إلى انعدام نص حول الوصول الإنساني في اتفاقية سبتمبر كما أخذ زمام المبادرة واقترح على الأطراف استخدام صياغة لغوية محددة لكتابة النص عند بداية محادثات أكتوبر/نوفمبر.

لم يقبل الطرفان مقترح الوسيط واتفقا على مجرد السماح بالوصول الإنساني "تحت توجيه مفوضية العون الإنساني السودانية وبعلم اللجنة الثلاثية¹²⁵". حتى هذا الوصول المشروط لم يعد ذا معنى لاحقًا نسبة للقيود الحكومية على أنونات السفر وتدهور الأحوال الأمنية ميدانيًا. عند كتابة هذا التقرير يظل الوصول الإنساني داخل دارفور لمئات الآلاف من النازحين بسبب القتال غير موجود تقريبًا.

¹²² الخرطوم تهم مقاتلي دارفور باستهداف المدن الكبيرة في الغرب بغية الاستيلاء عليها"، باللغة العربية جريدة الشرق الأوسط، 19 ديسمبر 2003
¹²³ أنظر "نص البيان المشترك وفدا الحكومة وحركة تحرير السودان" الذي نشر باللغة العربية في صحيفة أخبار اليوم اليومية (الخرطوم)، 6 نوفمبر 2003. هناك ترجمة غير رسمية في الملحق (ج) أدناه

¹²⁴ أنظر فيما يتعلق بالنص الأصلي (باللغة العربية) "نص مشروع الوسيط التشادي لاتفاق نهائي" الذي نشرته الصحيفة اليومية "أخبار اليوم (الخرطوم)، 8 نوفمبر 2003، هناك ترجمة باللغة الإنجليزية غير رسمية في الملحق (د) أدناه

¹²⁵ المادة الخامسة

د-انهيار محادثات انجمينا

انهارت الجولة الثالثة من المحادثات في 16 ديسمبر بعد أقل من يوم من بدئها. ذكر وزير داخلية تشاد للصحافة "توقفت المفاوضات لأن التمرد طرح شروطاً غير مقبولة. علقت المفاوضات؛ لقد فشلت الأمور"¹²⁶.

في الحقيقة لم تبدأ المحادثات مطلقاً ولم تجتمع الأطراف البتة. أخبر ميني أركو ميناوي الأمين العام لجيش التحرير أصحابه أن وفد التمرد اجتمع مع الرئيس دبي ومعاونيه وبعد أن تم إبلاغه بمواقف المتمردين طلب منهم العودة إلى ديارهم لأن الطريق كان مسدوداً أمام المفاوضات. ألمح ميناوي بأن الوسيط قد سرب موقف جيش التحرير الافتتاحي الذي يشمل مطالبهم بمحادثات مباشرة مع الحكومة ومراقبين دوليين لعملية التفاوض ولأي اتفاقيات وأن الحكومة قررت بأن تنهار المحادثات قبل أن يتم اقتراح هذه المطالب وتساءل: "لم تبدأ المحادثات- لم نلتق مطلقاً مع أي أحد من الطرف الآخر. كيف لها (أي المحادثات) أن تصل إلي طريق مسدود وهي لم تبدأ أصلاً." خلاصه قوله أن الوساطة التشادية مالت نحو الخرطوم بسبب الروابط الوثيقة بين الحكومتين¹²⁷.

كانت توقعات الحكومتين السودانية والتشادية كبيرة لذلك الاجتماع. وفقاً للتقارير الصحفية سافر الرئيس دبي قبل يومين من الاجتماع إلي الخرطوم للتشاور مع الرئيس البشير حول "أفضل السبل للتغلب علي العقبات المعقدة"¹²⁸. نقل الرئيس دبي المحادثات من أبيشي إلي انجمينا حتى يستطيع الاشتراك فيها بصورة أكثر مباشرة. كانت الآمال عالية بأن الجولة الثالثة ستقنن وقف إطلاق النار وتضع الأسس لاتفاقية سلام نهائي. إن أقل ما يقال عن ناتجها إنه كان مخيباً للآمال.

حملت تشاد أحد طرفي التفاوض مسؤولية انهيار المفاوضات مما عرّض مصداقيتها للخطر. خدّم هذا الاتهام الخرطوم التي كان عليها فقط كي تعود للقتال أن تستشهد بقول الوسيط وهو ما فعله رئيس الخارجية السوداني:

"تلقي الحكومة عبء انهيار محادثات انجمينا علي الخارجين علي القانون. برغم الجهود المقدرة كثيراً التي بذلها سيادة الرئيس إدريس دبي لتيسير حل، خرب الخارجون علي القانون فعالية المحادثات بإصرارهم علي شروط غير واقعية تربط المحادثات بمفاوضات السلام القائمة في كينيا بين الحكومة والحركة الشعبية لتحرير السودان. والتصريح الصادر عن الحكومة التشادية إثر انهيار المحادثات دليل قاطع علي مسؤولية الخارجين علي القانون عن فشل المحادثات."¹²⁹

استخدمت الحكومة أيضاً التكوين الإثني غير المتوازن لوفد جيش التحرير لكي تقدح في شرعيته فوفقاً لأحد المصادر كان أغلب أعضاء وفد التمرد إلي انجمينا من الزغاوة.

5-المجتمع الدولي

اتطورات ردود الأفعال

كانت ردود الفعل العالمية للأزمة غير كافية. أعطيت محادثات سلام الإيقاد أولوية علي حساب تحميل الحكومة مسؤولية أفعالها في دارفور الشيء الذي سمح لها بالتصعيد العسكري دون خوف من العواقب.

1-الأمم المتحدة

أصبح من الصعب تجاهل الأزمة في دارفور بعد أن أطلقت الحكومة موجة جديدة من النزوح القسري نتيجة للهجوم الذي شنته قواتها في ديسمبر 2003. قال يان إيقلانند الوكيل العام للشئون الإنسانية في الخامس من ديسمبر أن الوضع الإنساني في دارفور الآن من أسوأ الأوضاع في العالم ودعي إلي تحسين الوصول إلي ضحايا الحرب، واحترام القانون

¹²⁶ "توقف محادثات السلام بين حكومة السودان والمتمردين في تشاد"، اسبوشيتد برس، 16 ديسمبر 2003

¹²⁷ "مقاتلو دارفور ينكرون التفاوض مع الحكومة في انجمينا"، باللغة العربية، صحيفة الشرق الأوسط، 18 ديسمبر 2003

صحيفة الشرق الأوسط، 13. أنظر علي سبيل المثال "استئناف محادثات السلام المتعلقة بدار فور في غضون يومين بعد نجاح جهود الرئيس التشادي، باللغة العربية، 128 ديسمبر 2003

¹²⁹ "بيان صادر عن وزارة الخارجية بشأن الوضع الصحيح في دارفور"، 31 ديسمبر 2003، علي موقع

الإنساني الدولي، ودعم المانحين لمبادرة دارفور الكبرى المتمثلة في النداء الإنساني الرامي إلى توفير اثنين وعشرين مليون دولار أمريكي¹³⁰.

زار توم إريك فراسلين المبعوث الخاص للأمين العام للشئون الإنسانية في ولايات دارفور الثلاثة 7 و8 ديسمبر. وعبر عن صدمته حيال الحالة المتدهورة التي تأثر بها عند ذلك الوقت مليون شخص. حدد فراسلين العقبة الأساسية في تعطيل الوصول أغلي ضحايا الحرب سواء على أسس أمنية أو لتقييدات حكومية. أجمع فراسلين مع اللجنة الثلاثية وحث الأطراف على تجديد وقف إطلاق النار وتوسيعه ليشمل الجنجويد¹³¹. ساعدت زيارته في كسر الصمت العالمي واستمر يعمل بدأب من أجل وقف إنساني لإطلاق النار. أخبر المسؤولين بأن من مسئولية الحكومة حماية المدنيين، وتشجيع الحوار بين القبائل، والالتزام بتنمية طويلة الأمد وضرورة التصدي للأسباب الأساسية للصراع¹³². نقل الإعلام الذي تسيطر عليه الحكومة نصف رسالته فقط فنقلت صحيفة الأنباء الرسمية عنه قوله عن مهمته أنها "محض إنسانية ولا شأن لها بالسياسة"¹³³.

زار فراسلين تشاد في منتصف يناير 2004 ووصف أهداف زيارته بأنها "تجديد الجهود للحصول على وقف لإطلاق النار تحت إشراف دولي ومن ثم المساعدة في دعم العون الإنساني للاجئين"¹³⁴. أصبح وقف النار الإنساني أولوية لدبلوماسية الأمم المتحدة. تتمثل المشكلة فيما يتعلق بهذا المنحى في عدم ارتباطه بعملية سياسية وبالتالي عدم قدرته على الصمود على المدى الطويل كما يعتمد على ترميم عملية أنشئ وهي كما أوضحنا أعلاه، معيبة جوهريا.

واصل فراسلين خلال زيارته للخرطوم في فبراير 2004 حث الأطراف المعنية على إنجاز وقف إنساني لإطلاق النار وألح على الحكومة أن تقوم بتنفيذ جيد بناء على تصريح مؤخر للرئيس البشير وعد فيه بتسهيل إيصال الإغاثة لضحايا الحرب¹³⁵. وقد تمكنت الأمم المتحدة والمجتمع الإنساني من استغلال ذلك التعهد الرئاسي في تحسين وجودهما العمليتي ميدانيا دافعين أكثر من أجل تحسين فرص الوصول للنازحين و توفير حماية أفضل للمدنيين والعاملين في الإغاثة ممن يحاولون مساعدة المدنيين.

صار لآليات الأمم المتحدة السياسية والمعنية بحقوق الإنسان صوت مسموع على أعلى مستوى. حفز الوضع الإنساني الذي أخذ يتدهور بسرعة والتقارير عن الانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان الأمين العام كي يطلب من الأطراف كافة في 9 ديسمبر 2003 التخفيف من أثر الصراع على المدنيين، وفي إشارة إلى تزايد الوعي العالمي بعملية أبشئ، وحث الأطراف على استغلال محادثات انجمننا للوصول إلي وقف شامل لإطلاق النار¹³⁶. كرر تصريح عن مكتب نائب المفوض السامي لحقوق الإنسان في 29 يناير 2004 النداء الصادر لوقف إطلاق النار، وأهمية المساءلة عن الانتهاكات ضد المدنيين كما حث الخرطوم على دعوة آليات لجان تقصي الحقائق والتحري للزيارة¹³⁷.

في منتصف مارس 2004 دفع استخدام الاغتصاب كسلاح للحرب والطبيعة المنتظمة للهجمات على المدنيين علي أساس عرقي، موكيش كابيلا، المنسق المقيم للأمم المتحدة والذي كان على وشك مغادرة السودان بصوره نهائية، للإشارة إلى أوجه الشبه بين ما يجري في دارفور وأعمال الإبادة التي شهدتها رواندا في عام 1994 مما دفع الحكومة إلى رفض المقارنة بغضب¹³⁸.

¹³⁰مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات الدولية، نيويورك، 18 فبراير 2004. التزم إيفلاند بالاستمرار في جعل الاستجابة لما يجري في دارفور واحدة من الأولويات الدولية الهامة.

¹³¹ "المنذوب الإنساني يصاب بالصدمة نتيجة لتدهور الأوضاع في دارفور، السودان"، أوشا، نيويورك، 8 ديسمبر 2003

¹³² نفس المصدر

¹³³ الأنباء، 9 ديسمبر 2003

¹³⁴ "مبعوث الأمم المتحدة في تشاد بشأن الأوضاع القاسية التي يعيش في ظلها اللاجئين"، اي اف بي، 8 يناير 2004

¹³⁵ "المبعوث الخاص للأمم المتحدة يصل إلى السودان"، أوشا، 12 فبراير 2004

¹³⁶ الأمين العام يشعر بالقلق الشديد حيال الوضع المتزدي في إقليم دارفور بالسودان"، وثيقة الأمم المتحدة AFR/79, SG/SM/9067 بتاريخ 9 ديسمبر 2003

¹³⁷ أنظر "القائم بأعمال رئيس الحقوق يعبر عن قلقه حيال الوضع المتزدي في إقليم دارفور بالسودان، مفوض الأم المتحدة السامي لحقوق الإنسان، 29 يناير 2004

¹³⁸ "حرب دارفور في السودان تعيد إلى الذاكرة سفك الدماء في رواندا-الأمم المتحدة" رويترز، 19 مارس 2004 ورد فعل الحكومة في "ملاحظات الأمم المتحدة بشأن العنف مجموعة أكاذيب"، رويترز، 21 مارس 2004

2- الولايات المتحدة

عرضت الولايات المتحدة أن تساعد الخرطوم في ترتيب مفاوضات مع المتمردين بهدف تيسير تدفق العون الإنساني. وعندما لم تتلق واشنطن أي استجابة أصدرت في 2 مارس 2004 أقوى تصريح علني لها حتى الآن معبرة عن بالغ اهتمامها بالأزمة المتصاعدة ومندة بالجنجويد والمليشيات الأخرى التي تدعمها الحكومة والتي "تستمر في مهاجمة وحرق القرى غير المحمية وقتل واغتصاب السكان"¹³⁹ ... "طلبت الولايات المتحدة أيضا من الأطراف التفاوض حول وقف إنساني لإطلاق النار، وكفالة الوصول الإنساني وسلامة العاملين الإنسانيين؛ وتجريد كل القوات غير النظامية من السلاح وإخضاعها للسيطرة وبخاصة الجنجويد"¹⁴⁰.

ناقش شارلز سنايدر مساعد وزير الخارجية الأمريكية للشؤون الأفريقية بالوكالة وروجر وينتر المساعد الإداري لوكالة الولايات المتحدة للتنمية الدولية (USAID) أكبر مانح منفرد للجهود الإنسانية في السودان، مفاوضات الإيقاد والتدخلات الإنسانية في دارفور مع الرئيس البشير، ونائب الرئيس طه، ووزير الخارجية مصطفى عثمان إسماعيل¹⁴¹. خلال المراحل الأولى من الأزمة كثيرا ما نددت وكالة التنمية الدولية باستهداف المدنيين في دارفور والانتهاكات الواسعة لحقوق الإنسان وعلى سبيل المثال طالبت الوكالة في 3 فبراير 2004 من الأطراف تسهيل الوصول الإنساني والبحث عن حل سلمي وطالبت بوقف إنساني لإطلاق النار بمتابعة عالمية وذكرت بأن الولايات المتحدة تتطلع للأمم المتحدة لتفقد المجهود الإنساني¹⁴².

وبالرغم من ذلك تحتل دارفور مرتبة متدنية، مقارنة بعملية الإيقاد، في سلم الأولويات الأمريكية. سعت إدارة بوش سعيًا محمومًا لإقرار اتفاقية سلام بين الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان بينما افتقد منحها في دارفور الشعور بالحاجة الملحة لعمل شيء ما. فعلى سبيل المثال لم تستخدم الولايات المتحدة بعد، نفوذها الذي لا يستهان به للترويج لآلية مستقلة فعالة لحماية المدنيين في دارفور. عبرت الولايات المتحدة في منتصف ديسمبر 2003 عن نيتها لتوفير التمويل اللازم لتوسيع تغطية عمل فريق حماية المدنيين والمتابعة الذي تقوده الولايات المتحدة إلى دارفور للتحقق من الهجمات على المدنيين والانتهاكات الأخرى للقانون الإنساني الدولي ولكنها سرعان ما أسقطت مقترحها عندما اعترضت عليه الخرطوم¹⁴³.

وفي المقابل مارست الولايات المتحدة ضغطًا دائمًا على الحكومة وجيش تحرير السودان حتى لا تفقد محادثات الإيقاد زخمها وعرض مسئول رفيع على الأطراف إمكانية الحصول على 700 مليون دولار تقسم على ثلاث سنوات إذا تمكنت من إنهاء اتفاق السلام بمنتصف يناير 2004¹⁴⁴ وهو مجهود بذل لإغرائها بالتوقيع على اتفاق إداري في الموعد المحدد والسفر إلى واشنطن ومعاملة ممثلي الطرفين كضيوف شرف خلال خطاب الرئيس بوش حال الأمة وهو استعراض كان سيساعد الإدارة في حلبة الصراع السياسي وأيضًا في الحصول على الإعتمادات المالية اللازمة من الكونغرس.

مارست الولايات المتحدة في ذات الوقت في سعيها لاستخدام نفوذها الواسع لتحقيق ما تصبو إليه العقوبات الاقتصادية والدبلوماسية القائمة أو التي هددت باستخدامها. شهد الرئيس بوش أمام الكونغرس في 22 أكتوبر 2003 بأن الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان يتفاوضان بما يكفي من حسن النوايا لتجنب العقوبات المفروضة بموجب قانون سلام

¹³⁹ وزارة الخارجية الأمريكية، "السودان: الوضع في دارفور"، بيان صحفي، 2 مارس 2004

¹⁴⁰ "الولايات المتحدة تحس بالقلق الشديد حيال الأزمة الإنسانية المتصاعدة في غرب السودان"، صوت أمريكا، 3 مارس 2004

¹⁴¹ "مساعد وزير الخارجية الأمريكية يناقش مع البشير الرتيبات الخاصة بجولة سلام السودان والجهد الإنساني في دارفور"، باللغة العربية، صحيفة الشرق الأوسط، 13 فبراير 2004. التقوا أيضًا بالوكالات الإنسانية والوكالات الحكومية المسؤولة عن الأمر التنظيمية بغرض مناقشة المعوقات التي تقف في وجه التدخلات الإنسانية في دارفور كما قام ونتر أيضًا بجولة في المنطقة.

¹⁴² بيان صادر عن أندرو س. ناستيوس، مدير وكالة التنمية الدولية التابعة للولايات المتحدة والمنسق العام للشؤون الإنسانية للسودان، "بيان صحفي، وكالة التنمية الدولية التابعة للولايات المتحدة، 3 فبراير 2004

¹⁴³ مقابلات المجموعة الدولية للأزمات، 15-20 ديسمبر 2003. طلبت المجموعة الدولية للأزمات من سي بي إم تي منذ يونيو 2003 التحقيق في الهجمات ضد المدنيين في

دارفور

¹⁴⁴ "الولايات المتحدة تتعهد بتوفير 700 مليون دولار أمريكي للسودان متي ما تم تحقيق السلام فيه"، ستيدي نيشن، نيروبي، 7 ديسمبر 2003

السودان لثلاثة أشهر تنتهي في 21 يناير 2004¹⁴⁵. خفض الموعد النهائي الجديد الفترة التي يُقدم بنهايتها تقرير عن التقدم المحرز إلى النصف وكانت هذه خطوة من قبل الإدارة الأمريكية لدفع عملية السلام إلى نهايتها. هناك تمديد جديد ينتهي في الحادي والعشرين من أبريل 2004 إذ مدد الرئيس بوش في 29 أكتوبر 2003 الحظر المرفوض ضد السودان منذ نوفمبر 1997 لمدة عام "لأن أفعال وسياسات الحكومة السودانية مستمرة في تشكيل خطر غير مألوف وغير عادي على الأمن القومي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة"¹⁴⁶. وظل السودان على قائمة الدول التي تعتبرها الولايات المتحدة راعية للإرهاب الدولي وكان وزير الخارجية كولن باول قد قال بأن اتفاقية تنهي الحرب في الجنوب هي المفتاح لإزالة اسم السودان من على تلك اللائحة¹⁴⁷.

كان رد فعل وزارة الخارجية إزاء انهيار محادثات ديسمبر بأنجمينا هو الحديث عند النتائج الإنسانية المدمرة للصراع ودعوة الأطراف للاتفاق حول "وقف إنساني لإطلاق النار يمكن مراقبته"¹⁴⁸. وصرح مسئول أمريكي للإعلام خلال فترة يناير الحرجة من محادثات الإيقاد بأن اتفاقية سريعة لحل الصراع في الجنوب يمكن أن تسهم في حل الصراع في غرب السودان أيضاً: "الحقيقة هي أن ما تحويه اتفاقية الشمال والجنوب يمكن نقله بسهولة لحل مشكل الغرب فيما يتصل بسلطة الإقليم... اقتسام الثروة بما يتناسب وعدد السكان"¹⁴⁹. ولد هذا التصريح رد فعل قوي من وزير خارجية السودان الذي قال بأن الحكومة على استعداد لاقتسام الثروة مع الأقاليم المهمشة الأخرى ولكن الحكم الذاتي وحق تقرير المصير في دارفور غير مقبولان، ورحب بتعليق للممثل الخاص للرئيس بوش للسودان السناتور دانفورت قال فيه بأن اتفاقية سلام بين الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان لا تحل المشاكل في دارفور. أثارت مثل هذه الرسائل المتضاربة حيرة الأطراف وحدثت من قدرة الولايات المتحدة في استخدام نفوذها للتأثير على الأحداث.

كانت هناك حيرة مماثلة حول أبيي في محادثات الإيقاد فبينما كانت الخارجية تدفع الأطراف لقبول استفتاء يشمل كل من دينكا نقوك والمسيرية كان مسئولو الوكالة الدولية للتنمية يخبرون الجيش الشعبي لتحرير السودان بأن الولايات المتحدة تقف وراء استفتاء لدينكا نقوك فقط. وأخيراً طرحت الولايات المتحدة خلال زيارة السناتور دانفورت لنيفاشا في 19 مارس 2004 موقفاً موحداً حول أبيي. دعي المقترح الأمريكي إلى استفتاء يعطي أبيي خيار الانضمام إلى الجنوب أو البقاء في الشمال في تزامن مع استفتاء حق تقرير المصير في الجنوب وضم معادلة لاقتسام عائدات نفط أبيي، ودعي إلى استخدام مراقبين دوليين وعلى العموم كان المقترح مساومة معقولة يمكن لها أن تمد الجسور لسد الفجوة بين الأطراف.

3- الإتحاد الأوروبي

بدأ الإتحاد الأوروبي أيضاً يعير اهتماماً أكبر لأزمة دارفور الإنسانية ولكنه يحتاج إلى دعم اللغة القوية التي استخدمها في بياناته الأخيرة بضغط ذي مغزى وبالتحديد على الحكومة.

واصل الإتحاد الأوروبي في يناير 2001 "حواره الناقد" مع حكومة السودان وربط السماح للحكومة باستخدام مبلغ 427 يورو خصصت للعون التنموي بأدائها في مجالات الديمقراطية، وحقوق الإنسان، وحكم القانون والسلام. بإعادة إحياء عملية الإيقاد في العام الذي تلي والتي لعب فيها عدد من الدول الأعضاء أدواراً رئيسية ربط الإتحاد الأوروبي

¹⁴⁵ "قانون سلام السودان (يوكد) التصميم الرئاسي"، صفحة الحقائق، مكتب الناطق، رقم 1077/2003، 22 أكتوبر 2003. يفرض قانون سلام السودان الذي أجازه الكونغرس في أكتوبر 2002 عقوبات على حكومة السودان غداً لم تنجح في التفاوض بحسن نية أو إذا تبين أنها مسؤولة عن فشل المفاوضات. وفر القانون أيضاً 100 مليون دولار أمريكي كمساعدة للتجمع الوطني الديمقراطي المعارض.

¹⁴⁶ "بوش يمدد العقوبات ضد السودان لسنة أخرى"، وكالة الأنباء الفرنسية، 30 أكتوبر 2003.

¹⁴⁷ اسم السودان قد يرفع من قائمة الولايات المتحدة للإرهاب"، السودان تريبيون، 4 فبراير 2004، مشيرة إلى مقابلة في واشنطن بوست. قالت السفارة الأمريكية في وقت لاحق أن تحسن أداء الحكومة في مجال حقوق الإنسان بالإضافة إلى تحقيق اتفاق للسلام سيكون لهما دور حاسم في عودة العلاقات الثنائية إلى طبيعتها. عكس هذا الموقف احتجاج الولايات المتحدة على حظر صحيفتين يوميتين رئيسيتين، الخرطوم مونيتور والأيام، على الرغم من التعهدات الرئاسية المتكررة باحترام حرية الصحافة. "سفارة الولايات المتحدة تنتقد الحكومة السودانية لمنعها صحيفتين من الصدور"، اسبوشيتد برس، 17 ديسمبر 2003، و"سفارة الولايات المتحدة تقول بأن حقوق الإنسان وليس عملية السلام هي التي تحظى بالأولوية"، دي بي إي، 16 ديسمبر 2003.

¹⁴⁸ "الولايات المتحدة تعبر عن قلقها للوضع المتدهور في غرب السودان"، اسبوشيتد برس، 16 ديسمبر 2003.

¹⁴⁹ "سلام السودان قد يساعد في تسوية النزاع في الغرب-الولايات المتحدة"، رويترز، 9 يناير 2004.

مواصلة مساندته التنمية بعملية السلام. اختتمت الحلقة الأخيرة من هذا الحوار السياسي في 19 ديسمبر 2003 بالخرطوم بالتأكيد على موقف الإتحاد الأوروبي لتطبيع العلاقات¹⁵⁰.

قصر الإتحاد الأوروبي استجابته حول دارفور في المراحل الأولى على المساعدة الإنسانية¹⁵¹. أصدرت رئاسة الإتحاد الأوروبي في أوائل يناير 2004 إعلاناً صيغ بكلمات قوية دعي فيه الحكومة وجيش التحرير لاحترام اتفاقية سبتمبر لوقف إطلاق النار واستئناف المفاوضات حول تسوية سياسية مع الاحترام الكامل لحقوق الإنسان، والعمل على حماية المدنيين، وكفالة انسياب المعونات الإنسانية لضحايا الحرب بلا تعويق¹⁵².

ألقى أيضاً أعضاء دول الإتحاد الأوروبي ذوو التأثير بالسودان بثقلهم. أجرى ألن قولتي مبعوث المملكة المتحدة الخاص للسلام في السودان في زيارة له للسودان في أواخر ديسمبر محادثات مكثفة مع الحكومة والمعارضة بشأن دارفور كجزء من محاولة لإحياء عملية أيشي. وهناك تقارير تشير إلى موافقة الحكومة على اقتراح يرمي إلى توسيع اللجنة الثلاثية لتضم وجوداً دولياً ولكنها طالبت بأن تكون حركة العدل والمساواة جزءاً من أي محادثات. طلب السفير قولتي من رئيس المؤتمر الشعبي حسن الترابي استمالة حركة العدل والمساواة للانضمام.

أعرب وزير الخارجية الفرنسي دومينيك دي فيليبين خلال زيارته لأنجمينا والخرطوم في فبراير 2004 عن استعداداته للمشاركة في الجهود الرامية لإنهاء صراع دارفور. وذكر في أعقاب اجتماعه بالرئيس دبي أن تسوية سلمية مبكرة مطلوبة حتى لا يتعرض الاستقرار الإقليمي للتهديد، وصادق على مقترح الحكومة السودانية لعقد مؤتمر قومي شامل وقال بأن فرنسا وتشاد على استعداد للمساهمة في هذا الجهد¹⁵³. أوضح دي فيليبين أن تدخله يتم بالتنسيق مع الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة والإتحاد الأوروبي ربما للحيلولة دون استغلال الخرطوم لعلاقتها الجيدة مع فرنسا لإثارة المشاكل بين فرنسا من جهة والولايات المتحدة وبريطانيا من الجهة الأخرى. تابعت الحكومة الفرنسية هذه الزيارة بأن أرسلت رئيس وزرائها السابق ورئيس لجنة الشؤون الخارجية بالمجلس الوطني ادموند بالا دور إلى نيفاشا في نهاية الأسبوع الموافق السادس من مارس للاجتماع مع الأطراف. تحدث بالا دور مع كل من طه وقرنق في محاولة لإعادة إشراك فرنسا في عملية الإيقاد وتحسين علاقات بلاده مع الجيش الشعبي لتحرير السودان.

ب. وقت العمل

1. حول دارفور

كان للتعقيد الذي يتسم به الصراع في دارفور ومقاومة الحكومة للتدويل وخشية المجتمع الدولي من إثارة غضب الحكومة قبل أن توقع اتفاقية سلام مع الجيش الشعبي لتحرير السودان دورهم في التعامل مع أحداث دارفور نشئ من السلبية مما سمح للحكومة بإتباع أجندتها العسكرية بيد أن المعاناة تزداد يوماً بعد الآخر كما تتأثر عملية سلام الإيقاد ويتعرض الاستقرار الإقليمي للخطر نتيجة لتداعيات أحداث دارفور. عندما أصبح من الصعب بصورة متزايدة تجاهل الكارثة الإنسانية كان وقت الدبلوماسية الهادئة قد انتهى.

يجب أن يتم التفاوض حول الصراع بين الحكومة/قوات الجنجويد وبين جيش تحرير السودان/حركة العدل والمساواة. ليس هناك من شك حول طبيعة هذا الصراع فهو صراع سياسي رغم محاولات الحكومة إنكار ذلك، غذاه تاريخ من الحكم غير الرشيد والمحاباة الإثنية. تمت استثارة واستخدام الاختلافات الإثنية والقبلية العميقة التي تهدد بتقويض ما حققته أجيال كثيرة من تعايش سلمي نسبي من قبل الحكومة ولكن أصبح لهذه الاختلافات وجودها الخاص الآن. قد أصحى الصراع بين الجنجويد والتمرد إثني في طبيعته بصورة متزايدة وسيستغرق رتق النسيج الاجتماعي وقتاً طويلاً

¹⁵⁰ اجتماعات علي مستوى الوزراء (للمجموعة) الثلاثية للإتحاد الأوروبي لتشجيع السلام في السودان (18-19 ديسمبر)، بيان صحفي للإتحاد الأوروبي، 18 ديسمبر

2003

¹⁵¹ استقبل بول نيلسون، مفوض المساعدات الإنمائية والعون الإنساني، وزير الخارجية إسماعيل في ديسمبر 2003. وفقاً لما جاء في البيان الصحفي، "تم أيضاً مناقشة الأزمة الإنسانية في دارفور وعبر المفوض نيلسون عن قلقه في ما يتصل بالوضع الإنساني الصعب ولكنه أكد مواصلة اللجنة في توصيل العون الإنساني للسودان... بما في ذلك إصدار قرار طارئ تم بموجبه توفير 4 مليون يورو بغية التخفيف من عواقب أزمة دارفور". "التقى المفوض نيلسون اليوم بوزير خارجية السودان د. مصطفى عثمان إسماعيل"، بيان صحفي، بروكسل، أي بي/1684109/03/2003.

¹⁵² "إعلان من الرئاسة نيابة عن الإتحاد الأوروبي بشأن الحالة في دارفور"، بيان صحفي، بروكسل، بي/04/5، 7 يناير 2004.

¹⁵³ تشاد: وصول خارجية فرنسا إلى الخرطوم"، وكالة الأنباء الفرنسية، 20 فبراير 2004

وهذا ممكن فقط في ظل اهتمام وسند عالميين إذ أن الطريقة التي استغلت بها الحكومة مثل هذه العمليات في الماضي لا تساعد علي ذلك.

يجب أن تأخذ الدول المراقبة المشاركة في عملية الإيقاد -الولايات المتحدة، المملكة المتحدة، النرويج وإيطاليا- مع الدول الأخرى التي لديها اهتمام بالأمر مثل فرنسا وتشاد الخطوة الأولى بتشجيع ومساعدة مفاوضات يغلب علي بنيتها إجمالا الطابع السياسي علي أن ركزت في البداية علي الجانب الإنساني. تجري الجهود الآن لبدء مثل هذه العملية في الأسابيع المقبلة. لكن يتوجب علي هذه الدول أن تتسق في ما بينها بصورة أفضل إذا أريد للأطراف أن تجلس إلي مائدة المفاوضات وهي تمتلك فرصة طيبة للنجاح. وحتى الآن، فإن المفاوضات المخطط لها بتشاد ستقتصر علي وقف إطلاق النار لا اعتبارات إنسانية تحت إشراف دولي وهذا غير كاف. يجب أن يتم الربط عملية سياسية واضحة وميسرة دوليا والمحادثات الإنسانية إذا أريد لعملية السلام أن تتسم بالاستمرارية.

سيشكل إيجاد آلية مراقبة دولية ملائمة للوقف الإنساني لإطلاق النار في دارفور تحديا مبكرا سيستغرق التعامل معه وقتا طويلا لكل المشاركين. إن فريق متابعة حماية المدنيين هو الخيار الأنسب سد هذا الفراغ علي المدى القصير لأنه يضطلع الآن بعملياته في السودان ولكن الأمر يتطلب قدرا من الإصلاح فيما يتعلق بعدد موظفي الفريق وقيادته وصلاحيته القانونية حتى يعمل بفعالية في دارفور.

أوضح جيش تحرير السودان عزمه علي التفاوض أولا حول الوقف الإنساني لإطلاق النار بغية تسهيل الإغاثة¹⁵⁴. بينما أصرت حركة العدل والمساواة بثبات علي عملية سياسية مسبقة كي يتم تجنب فقدان القدرة علي التأثير. بما أن الحكومة لا زالت تعترض علي تمويل العملية وترفض الاعتراف بالأبعاد السياسية للصراع فإن جل الضغط المطلوب لتحريك الدبلوماسية الجادة يجب أن يوجه إلي الخرطوم.

علي الحكومة أن تستغل وقف إطلاق النار لتبرهن لسكان دارفور والمجتمع الدولي بأنها جادة في إنهاء الصراع. يجب أن تكون الأولويات هي إيصال خدمات الإغاثة إلي الأشخاص النازحين داخليا والسكان الآخرين المتأثرين بالحرب بجانب ضمانات من كل الأطراف لتسهيل إيصال الإغاثة الإنسانية لضحايا الحرب.

يجب إنشاء آلية محايدة وعالمية لإعادة التوطين تتكون من الحكومة، المجموعات المتمردة والمجتمع المدني وبتزاسها ممثل للأمم المتحدة لتراقب جهود إعادة التوطين واستعادة حكم القانون. كما يجب أن تسعى لتضمن لمن أخلوا عن قراهم القدرة علي العودة إليها وتلقي مساعدة حكومية لإعادة بناء حيواتهم. يجب أن تسجل المزاعم المتعلقة بالفقدان مثال تلك التي تتعلق بالماشية المنهوبة والشكاوى الجنائية في مواجهة مجموعات أو أفراد. يجب أن تساعد اللجنة المذكورة الحكومة أيضا والتي يجب تحميلها المسؤولية عن استعادة حكم القانون في دارفور في خلق آليات للتعويض والتحري في اتهامات الضحايا كما يجب أن تتعاون مع جهودات أي طرف ثالث مسئول عن التحري في انتهاكات القانون الإنساني الدولي كتلك التي يضطلع بها علي سبيل المثال فريق مراقبة حماية المدنيين CPMT .

إن التهديد الذي يشكله صراع دارفور علي باقي السودان فضلا عن تشاد والإقليم الممتد يبرر اشتراك مجلس الأمن علي الأقل من خلال إدانته لانتهاكات حقوق الإنسان المستمرة، ودعم المفاوضات السياسية والضغط علي الحكومة والجيش الشعبي لتحرير السودان بغية اختتام سريع لمفاوضات الإيقاد.

يجب أن يبدأ برنامج شامل للمصالحة بين القبائل والإثنيات إما بتزامن مع المفاوضات السياسية أو بعد اكتمالها. إن المشاركة الدولية في هذا الأمر حيوية إذ أن الحكومة تستغل بصورة روتينية مثل هذه الجهودات لخدمة مآربها الخاصة. توجد آليات تقليدية للمصالحة بين القبائل ولكن ربما ليست بالمستوى المطلوب. يجب أن يبقى التركيز التنموي طويل الأمد مركزا علي مكافحة التصحر الذي يذكي من نيران الصراع.

يجب أن يبين المراقبون الدوليون لحكومة الخرطوم بأنها إذا تمسكت بمسلكها الحالي في دارفور فستفقد المكاسب الدبلوماسية والعون اللذان كان من المفترض أن تحصل عليها إثر توقيع اتفاقية سلام مع الجيش الشعبي لتحرير السودان. يتوجب على المانحين والمساندين الآخرين لعملية الإيقاد إعداد قائمة موحدة بالعلامات الدالة على تنفيذ اتفاق تتوصل إليه الإيقاد ومسؤوليات الحكومة في دارفور ويجب تجميد الدعم للخرطوم إذا فشلت في تنفيذ مسؤولياتها في دارفور على أنه ليس من الضرورة أن يتأثر العون المقدم لجنوب السودان بذلك التجميد.

2. حول عملية الإيقاد

بالرغم من العملية التي تم القيام بها فإن محادثات الإيقاد تتعثر. يواجه قرنق وطه الآن أكثر التحديات صعوبة حول المناطق الثلاث المتنازع عليها-أبيي، وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق¹⁵⁵ - تضع هذه المناطق ما تقوله الحركة عن "سودانها الجديد" على المحك وتهدد بفضح أجندة الجيش الشعبي بوصفها أجندة جنوبية وليس قومية. إن أي مساومة تقوم بها الحكومة حول جبال النوبة أو جنوب النيل الأزرق تضع سابقة لكل الولايات الشمالية. وصف أحد المحللين الخرطوم بأنها "تكره بصورة عميقة منح سلطات تتصل بالحكم الذاتي إلى أقاليم داخل الشمال"¹⁵⁶.

تظهر أبيي وهي تاريخيا منطقة سكنها تاريخيا دينكا نقوك وكانت جزءا من الشمال منذ أن ضمها البريطانيون إلي كردفان في 1950 الصعوبة الأكبر. تجيء معظم قيادات الجيش الشعبي لتحرير السودان من تلك المنطقة وعودتها إلى الجنوب سواء بقرار رئاسي إداري أو باستفتاء دينكا نقوك مطلب جوهري. إن أي نقاش لهذه الموضوع غير مقبول للحكومة التي تجادل بأن ذلك يعد خرقا لبروتوكول مشاكوس الذي توصل إليه الطرفان في 2002. ترجع مخاوف الحكومة إلي مطلب المسيرية وهي قبيلة رعاة عربية اعتمدت تاريخيا على أبيي في حقوق الماء والمرعى. يتمثل خطر الاستفتاء في إرساء سابقة يمكن أن تحزوها مناطق أخرى واكتشاف كميات كبيرة من البترول في أبيي. يحتل المقترح الأمريكي حول أبيي منطقة وسطا وعلى الإيقاد والدول المراقبة الدولية الأخرى أن تسانده باعتباره يقدم فكاكا من طريق مسدود.

تبرهن قضايا اقتسام السلطة التي لم تحل بأنها جد صعبة. إذا أريد الوصول إلى اتفاقية تبقى لا بد أن يتسم الطرفان بالمرونة. يجب على المجتمع الدولي مساعدتهما لاجتياز الحواجز الأخيرة تلك. يجب أن تزيد الضغوط على أي طرف يبدي عنادا بما في ذلك تحديد التكلفة التي يخاطر بها إذا ما حمل مسؤولية انهيار المحادثات¹⁵⁷.

4- الخلاصة

إن الصراع الذي يزداد سوءا بثبات والقائم على أقطاب إثنية في دارفور أكبر مهدد لكل من عملية سلام الإيقاد واستقرار البلاد بكاملها. تعاملت حكومة الخرطوم بحصانة وثقة من أن المجتمع الدولي لن يتفاعل بحسم خوفا من تعويق مطامح محادثات الإيقاد. بدأت الحكومة في أعقاب انهيار جولة ديسمبر 2003 من عملية أيشي هجوما في دارفور في محاولة لسحق المتمردين. أوضح إعلان البشير الذي ضخم فيه من انتصار فبراير 2004 وانسحاب وفده من اجتماع جنيف مع المتمردين حول الوصول الإنساني مدي رغبة الخرطوم في إبقاء المجتمع الدولي بعيدا عن الإقليم. ظل انسياب الإغاثة لإنسانية لضحايا الحرب من المدنيين محدودا بسبب الوضع الأمني والتعويق الحكومي المنتظم.

احتاج المجتمع الدولي إلي أكثر من سنة من الحرب ليقنع بأن أزمة دارفور تتطلب مشاركته الكاملة. إن علي الولايات المتحدة، والمملكة المتحدة والدول الأخرى المهمة التي استثمرت كثيرا في سلام السودان مسؤولية التأمين علي أن يتم

¹⁵⁵ للمزيد من (المعلومات) عن وضع أبيي، وجبال النوبة، وجنوب النيل الأزرق، أنظر تقرير مجموعة الأزمات الدولية المعنون: "نحو سلام غير مكتمل"، مصدر سابق، وتقرير مجموعة الأزمات الدولية رقم 65 بعنوان نهاية اللعبة في السودان، 7 يوليو 2003، وأفريقيا يريفينق الذي وفرته مجموعة الأزمات الدولية بعنوان "حروب السودان الأخرى"، 25 يونيو 2004

¹⁵⁶ جستنيس أفريكا "أفاق السلام في السودان"، 4 فبراير 2004.

¹⁵⁷ ستمعن مجموعة الأزمات الدولية النظر أكثر في ديناميات محادثات الإيقاد في تقريرها القادم.

تناول الصراع في دارفور بغية إعطاء عملية الإيقاد فرصة حقيقية للنجاح. يجب أن تفهم الحكومة بأنه لن تتم معاملتها مطولا كصانعة سلام لتقدمها مع الجيش الشعبي لتحرير السودان إذا ظلت دارفور تشتعل.

بينما كان الدمار الإنساني هو أول ما جذب الاهتمام، بدا جليا أن عملية سياسية قومية ومستقلة وتحت إشراف دولي بين الحكومة وخيش تحرير السودان وحركة العدل والمساواة المتمردتين وترتبط بوقف لإطلاق النار بمتابعة دولية أمور مطلوبة لوقف نزيف الدم تليها عملية طويلة الأجل لمصالحة بين القبائل.

نيروبي/ بروكسل، 25 مارس 2004

ملحق (أ)

خريطة السودان



ملحق (ب)

نص اتفاقية وقف إطلاق النار بين الحكومة وحركة تحرير السودان في دارفور

حرصاً علي تهدئة الأوضاع واستتباب الأمن بولاية دارفور وتقديراً للمضاعفات السلبية المدمرة وجراء الحرب ورغبة من الطرفين في تقريب وجهات النظر والمصالحة اجتمع وفد الحكومة السودانية (يشار إليه بالطرف الأول) ووفد جيش التحرير الذي تتواجد قواته في المناطق التالية:

أ- منطقة دار زغاوة.

ب- منطقة جبل سي.

ت- منطقة جبل ميدوب.

ث- منطقة جبل مرة.

ج- منطقة مورني.

(يشار إليه بالطرف الثاني)، اجتمع الطرفان تحت إشراف الحكومة التشادية (يشار إليه بالطرف الثالث) برعاية كريمة من الرئيس إدريس دبي تم الاتفاق علي الآتي:

البند الأول

وقف إطلاق النار بين الطرفين ووقف كل العمليات العدائية التي من شأنها إن تؤدي إلي تفاقم الأوضاع.

البند الثاني

التحكم والسيطرة علي المجموعات المسلحة غير النظامية في مسارح العمليات

البند الثالث

إطلاق سراح أسري الحرب كافة والمقبوض عليهم والذين لهم صلة بهذه القضية من الطرفين

البند الرابع

يتم تجميع قوات جيش تحرير السودان في مواقع يتم تحديدها بين الطرفين

البند الخامس

التزام الطرفين بإرساء دعائم السلام الدائم والشامل بالمنطقة من أجل تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية

البند السادس

تكوين لجنة ثلاثية من الحكومة السودانية والحكومة التشادية وجيش تحرير السودان لمتابعة تطبيق بنود هذه الاتفاقية

البند السابع

أ- تبدأ المفاوضات الخاصة بالملاحق بعد (45 يوماً) من تاريخ التوقيع علي هذه الاتفاقية للوصول لسلام شامل

مع تسليم الأسلحة بعد الإنفاق النهائي حول الملاحق

ب- تتبع هذه الاتفاقيات ملاحق ومذكرات مشتركة يتم تنفيذها كالاتي:

1- يدخل وقف إطلاق النار حيز التنفيذ بتاريخ 6 سبتمبر الساعة 18 بتوقيت السودان 14 بتوقيت غرينتش.

2- تحديد مواقع تجميع القوات

3- إطلاق سراح الأسري والمعتقلين

4- انسحاب المجموعات المسلحة غير النظامية متزامناً مع تجميع القوات

5- تكوين اللجنة الثلاثية في اليوم الخامس عشر من بداية وقف إطلاق النار، تتم إجازة الجدول الزمني المكمل لأعمال الفترة المتبقية حتي نهاية الـ(40 يوماً)

البند الثامن

في حالة وقوع خلاف حول بنود هذه الاتفاقية أو بروز مشكلة لم يشر إليها يقوم الطرف الثالث بمهمة التوفيق بين الطرفين

البند التاسع

تدخل هذه الاتفاقية حيز التنفيذ بمجرد التوقيع عليها

حررت هذه الاتفاقية بمدينة أبيشي بتشاد في 3 سبتمبر
التوقيع: اللواء/الركن عصمت عبد الرحمن قائد المنطقة الغربية وممثلاً للحكومة
السيد/ عبد الرحمن موسي وزير الأمن العام والهجرة ممثلاً للحكومة التشادية
القائد العام/ عبد الله أبكر بشير ممثلاً لجيش تحرير السودان

وفد الحكومة

اللواء/الركن عصمت عبد الرحمن زين العابدين رئيساً
العميد/الركن إبراهيم محمد الحسن أحمد سعيد عضواً
العقيد/عمر عبد المطلب عضواً
القنصل العام خالد عباس أحمد النعيم عضواً
بأبكر عمر عبد القادر عضواً

وفد جيش تحرير السودان

عبد الله أبكر بشير رئيساً
يحي سن النيل عضواً
عمر سليمان ضحية عضواً
آدم سليمان بشير عضواً
عبد الله حسب الله الدوحي عضواً
مصطفى محمود الطيب عضواً
الأستاذ عثمان محمد البشير عضواً

الصحافة الأحد 9 رجب 1424 هـ الموافق 7 سبتمبر 2003 العدد 3699

As Published by Al-Sharq al-Awsat, 5 September 2003.

ملحق (ج)

بيان مشترك بين وفد الحكومة ووفد جيش تحرير السودان

انعقدت بمدينة أيشي التشادية في الفترة من 26 أكتوبر الماضي وحتى الرابع من نوفمبر الجاري الجولة الثانية لمباحثات السلام بين حكومة جمهورية السودان ووفد جيش تحرير السودان برعاية الحكومة التشادية امتداداً لاتفاق أيشي بتاريخ 3 سبتمبر الماضي بين الطرفين وتنفيذاً للبند السابع لاتفاقية 3 سبتمبر واستناداً على تقرير اللجنة الثلاثية بالوضع الميداني بسبب عدم إحضار جيش تحرير السودان للملاحق في الفترة المحددة إزاء النوايا الحسنة والرغبة الحقيقية لإحلال السلام بين الطرفين اتفق الطرفان على الآتي:

- 1- منح مهلة شهراً لجيش تحرير السودان لإحضار الملاحق المذكورة في اتفاقية الثالث من سبتمبر وذلك اعتباراً من التوقيع على هذا البيان.
- 2- تجديد الثقة في اللجنة الثلاثية وتعزيزها بين الأطراف الثلاثة ومراقبة تنفيذ مضمون هذا البيان ميدانياً.
- 3- يؤمن الطرفان على ضمان حرية تنقل الأفراد والممتلكات.
- 4- السماح للمنظمات الإنسانية الوطنية والدولية للدخول للمناطق التي تأثرت بالحرب عبر مفوضية العون الإنساني بعلم اللجنة الثلاثية.
- 5- إن الإطار القانوني للمفاوضات المقبلة حول الملاحق هو اتفاقية السلام الموقعة بتاريخ الثالث من سبتمبر بين الطرفين- أي حكومة السودان وجيش تحرير السودان- إلا أن مشروع الاتفاق النهائي حول الملاحق تم تقديمها من طرف الوسيط (المرفق وبهذا البيان) لإجراء التعديلات عليه من قبل الطرفين وسوف يمثل أرضية للمفاوضات المقبلة.
- 6- في حالة وقوع خلاف أو عدم احترام نصوص هذا البيان من قبل أحد الطرفين يقوم الطرف الآخر باللجوء للوسيط التشادي.
- 7- ينتظم الطرفان بالتقيد التام بما ورد في هذا البيان.
- 8- صدر هذا البيان باللغتين العربية والفرنسية ولكن لهما نفس القوة القانونية.

صدر في مدينة أيشي بتاريخ 4 نوفمبر عن وفد الحكومة وقع والي شمال دارفور عثمان يوسف كبر وعن جيش تحرير السودان عبدالله حسب الله دوشي

وعن الوسيط التشادي د. آدم ديار وزير الثروة الحيوانية.

الرأي العام الأربعاء 5 نوفمبر 2003م الموافق 11 رمضان 1424هـ العدد 2236

As published in the Khartoum daily Akhbar al-Youm of 6 November 2003

ملحق (د)

نص مشروع الوسيط التشادي حول الاتفاق النهائي (أيشي)

مشروع اتفاق نهائي حول الملاحق بين حكومة جمهورية السودان وجيش تحرير السودان

مقترح الوسيط

- اعتبارا لاتفاق السلام الذي وقع بمدينة أيشي بتاريخ 3 سبتمبر (أيلول) 2003 بين حكومة جمهورية السودان وجيش تحرير السودان تحت رعاية الحكومة التشادية،
- اعتبارا لتقرير اللجنة الثلاثية المتعلق بالأوضاع في الميدان
- اعتبارا لحسن النية التي أبداهما الجانبان ورغبتهما الحقيقية في إحلال السلام.
- إن حكومة جمهورية السودان وجيش تحرير السودان يتعهدان باحترام بنود الاتفاق التالي:
- 1- إصدار عفو عام وشامل عن كل مقاتلي ومناصري جيش تحرير السودان. إن هذا العفو لا يشمل الجرائم التي ارتكبت قبل نشوب التمرد.
- 2- إرساء دعائم أمن كامل وسلام نهائي في منطقة دارفور.
- أ- يتعهد جيش تحرير السودان بالانتهاء عن الكفاح المسلح وتجميع مقاتليه في المواقع المحدد وتسليم أسلحته والمعدات الحربية الأخرى للحكومة السودانية في مدة لا تتجاوز (45 يوماً).
- ب- تتعهد الحكومة السودانية بالتكفل بإعاشة عناصر جيش تحرير السودان وذلك تحت إشراف اللجنة الثلاثية لأجل حصرهم وتشخيصهم.
- ت- تتعهد الحكومة السودانية في مدة (45 يوماً) بنزع أسلحة كل القوات غير النظامية التي تعرف (بالجنجويد) وكل العصابات المسلحة الأخرى التي ترتكب جرائم في حق السكان المدنيين العزل.
- 3- استيعاب عناصر جيش تحرير السودان في الحياة العامة.
- أ- إن عناصر جيش تحرير السودان الذين يرغبون في أداء المهنة العسكرية يتم إلحاقه بالجيش الوطني السوداني. سيتم تحديد رتبهم وامتيازاتهم وفقاً للمسؤوليات التي يشغلونها أثناء تواجدهم في الثورة.
- ب- إشراك الكوادر السياسية لجيش تحرير السودان في إدارة الشؤون العامة.
- ت- إن الموظفين الذين التحقوا بجيش تحرير السودان يمكنهم العودة إلي وظائفهم الأصلية ويتمتعون بنفس امتيازات زملائهم.
- ث- إن العناصر المدنية العسكرية الذين لا يرغبون في أداء المهنة العسكرية سيتم تعويضهم من أجل دمجهم في الحياة العامة.
- 4- ضمان حرية تنقل الممتلكات والأشخاص.
- 5- تأذين وضمان وتسهيل دخول منظمات الإغاثة الوطنية والدولية إلي المناطق المنكوبة.
- 6- تتعهد الحكومة السودانية بإعداد برنامج عاجل من أجل إعادة التعمير والتنمية الاجتماعية والاقتصادية بدارفور بمساهمة الشركاء الإنمائيين.
- 7- تجديد الثقة في اللجنة الثلاثية وتعزيزها من أجل الإشراف علي تطبيق الاتفاق الحالي.
- 8- في حالة وقوع خلاف أو عدم احترام بنود هذه الاتفاقية من قبل أحد الطرفين يقوم الطرف الآخر باللجوء للطرف الوسيط.
- 9- يدخل هذا الاتفاق حيز التنفيذ بمجرد التوقيع عليه.
- 10- صدر هذا الاتفاق باللغتين الفرنسية والعربية ولكليهما نفس القوة القانونية.

أخبار اليوم السبت 14 رمضان 1424 هـ الموافق 8 نوفمبر 2003م العدد 3255